الحمَّامات المغربيَّة من بداية عصر الدول المستقلة إلى نهاية عصر الموحدين ١٤٠-٦٦٨هـ/٧٥٧-١٢٦٩م (*)

مركز البحوث
والدراسات التاريخية

د/ إبراهيم السيد شحاته عوض
كلية دار العلوم – جامعة القاهرة

الملخص:

تعد الحمَّامات من المرافق العمرانيَّة الحيويَّة والرئيسة التي وجدت داخل المدن المغربيَّة؛ حيث ارتبطت بالعبادة وما فرضته من وجوب الطهارة والنظافة، بالإضافة إلى أهمية دورها الاقتصادي والاجتماعي والصحي؛ ولذا فقد اهتمَّ ولاة الأمر – من الحكَّام ومن اتَّصَل بهم– ببنائها داخل المدن المغربية التي بنوها خلال فترة الازدهار العمراني التي شهدها المغرب منذ بداية عصر الدول المستقلة، الأمر الذي أسهم في انتشارها وزيادة أعدادها في المدن المغربية.

ومن هذا المنطلق جاء هذا البحث الذي يهدف إلى دراسة الحمَّامات المغربية من بداية عصر الدول المستقلة إلى نهاية عصر الموحدين (١٤٠– ٦٦٨هـ/٧٥٧– ١٢٦٩م)، وذلك في محاولة للوقوف على عوامل انتشار الحمَّامات في بلاد المغرب إبَّان تلك الفترة التاريخيَّة، والتعريف بمكوناتها المعمارية، وتحديد مواقعها، وبيان أنواعها المختلفة، ومعرفة مصادر مياهها، وبعض المواد المستعملة فيها، بالإضافة إلى توضيح طبيعة إدارتها والمهن المتصلة بها وجهات الإشراف عليها، فضلًا عن كشف النِّقَاب عن أهم الأحداث السياسية والقضايا الاقتصادية والاجتماعية التي اتَّصَلَتْ بها.

الكلمات المفتاحية: الحمَّامات المغربية ؛ عصر الدول المستقلة؛ عصر الموحدين.

(*) مجلة "وقائع تاريخية" العدد (٣٧)، يوليو ٢٠٢٢.

Abstract:

Baths is one of the main and vital urban facilities found in Moroccan cities. Where it is associated with worship and the necessity of purity and cleanliness, in addition to the importance of its economic, social and health role. Therefore, the rulers - from the rulers and those who contacted them - were interested in building them within the Moroccan cities that they built during the period of urban prosperity that Morocco witnessed since the beginning of the era of independent states, which contributed to its spread and increase in its numbers in Moroccan cities.

From this point of view came this research, which aims to study the Moroccan baths from the beginning of the era of independent states to the end of the era of the Al-Muwahideen (140 - 668 AH / 757 - 1269 AD), in an attempt to find out the factors of its spread in the Maghreb during that historical period, and to introduce its architectural components Determining their locations, indicating their types, knowing their water sources, clarifying the nature of their management and supervision, in addition to revealing the most important political events and economic and social issues related to them.

***Key Words**: Moroccan baths, the era of independent States, era of the Al-Muwahideen.

المقدمة:

عرف المغرب –كغيره من أقاليم الدولة الإسلاميَّة– الحمَّامات كوسيلة للنظافة والطهارة التي حرص عليها سكَّان المدن المغربية(١)، وذلك من منطلق أنَّه "لا تُقْبَلُ صلاة بغير طهور"(٢)، لدرجة أنَّ بعضهم "كان من عادته أن يدخل الحمَّام في كل يوم"(٣)، في حين كان البعض الآخر حريصًا على أنْ تكونَ دارُه التي سيسكنُ فيها قريبةً من الحمَّام، فعندما قَدِمَ يوسف بن محمد(٤)

(ت٥١٣هـ/١١١٩م) مدينة سجلمَّاسة بالمغرب الأقصى "أمرَ أنْ ينزلَ في دار قريبة من الحمَّام"(٥).

وتفيد الإشارات الواردة في كتب التراجم أنَّ دخول الناس الحمَّامات المغربية لم يقتصر على أوقات الصيف فقط، فقد اعتاد الناسُ الذَّهاب إليها في أوقات البرد الشديد خلال فصل الشتاء أيضًا(٦)، فقد سُئِل الفقيه ابن أبي زيد القيرواني (ت٣٨٦هـ/٩٩٦م) "عمَّن أجنبَ في يوم بارد، هل يدخل حمَّامًا به شِقْصُ (نصيب أو حصَّة) غاصبٍ أم يتيمَّم؟ فقال: يدخل الحمَّام، ويؤدِّي أجرَ شِقْصِهم لأهله إن عرفهم، أو يتصدَّق به إن لم يعرفهم"(٧).

ومن هنا كانت الحمَّامات من المرافق العمرانيَّة الحيويَّة والرئيسة في المدن المغربية؛ حيث ارتبطت بحياة الناس اليوميَّة بسبب قيمتها الكبيرة ومنافعها العظيمة التي دفعت البعضَ لأنْ يُؤلِّفَ فيها، ومنهم الطبيب القيرواني ابن الجزَّار(٨) (ت ٣٦٩هـ/٩٧٩م) الذي ألَّفَ (مقالة في الحمَّامات)(٩). وقد أسهم كلُّ ذلك في رواج نشاط الحمَّامات في بلاد المغرب وإبعاد الخراب عنها؛ لأنَّ كافة الناس كانوا يحتاجون إليها، سواء تعلَّق ذلك بالنظافة أم بالعلاج(١٠)، مصداق ذلك اهتمام الرحَّالة والجغرافيين –الذين زاروا بلاد المغرب وسجَّلُوا معلوماتهم وملاحظاتهم حولها– بهذه الحمَّامات، وحرصهم على إحصاء عددها في معظم المدن المغربية.

وجدير بالذكر أنَّه كان لبعض الحمَّامات المغربية صدى في بعض الأحداث السياسيَّة، بالإضافة إلى صداها الاقتصادي الذي تمثَّل في قضايا بناء الحمَّامات بغرض الاستثمار أو التحبيس، وشراء بعض الحمَّامات وكرائها. هذا فضلًا عن صداها الاجتماعي المتمثِّل في موقف الفقهاء والقضاة من دخول النّساء والرجال الحمَّامات، وكذلك موقف الرجل من دخول زوجته الحمَّام. أضف إلى ذلك ما تعلَّق بالحمَّامات من أمور تنظيميَّة وإداريَّة ترتبط

بتسيير أمورها وإصدار الأحكام المتعلقة بها.

معنى ذلك أنَّ الحمَّامات في المغرب لم يقتصر أمرُها على مجرَّد كونها وسيلة للنظافة فقط، بل امتدَّ ليشمل بعض قضايا السياسة والإدارة والاقتصاد والاجتماع والعمران، وهو ما يؤهلها لأنْ تكون موضوعًا للدراسة من قِبَلِ الباحث في التاريخ والحضارة، وهو ما سيكون من خلال هذا البحث الذي يهدف إلى إبراز ذلك كلِّه، من خلال دراسة الحمَّامات في المغرب من بداية عصر الدول المستقلة إلى نهاية عصر الموحدين (١٤٠-٦٦٨هـ/٧٥٧-١٢٦٩م).

- **الدراسات السابقة:**

لم أجد -في حدود علمي واطّلاعي- دراسة علمية تخصصت في دراسة الحمَّامات المغربية من الناحية التاريخية والحضارية خلال الإطار الزمني المحدد لهذه الدراسة، فقد تمثَّلت الدراسات السابقة في دراستين، هما:

- دراسة بعنوان (الحمَّامات الجزائرية من العصر الإسلامي إلى نهاية العهد العثماني دراسة آثارية معماريَّة)، لموساوي عربية سليمة، وهي عبارة عن رسالة ماجستير بمعهد الآثار، جامعة الجزائر،١٩٩١م. والدراسة متخصصة في دراسة الحمَّامات الجزائرية خلال الفترة المذكورة من الناحية الأثرية.
- بحث صغير بعنوان (الحمَّام المغربي العمومي تاريخ وتخطيط)، لنعيمة الحضري، منشور في مجلة بصمات، الصادرة عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني المحمدية، ع٦، ٢٠١٥م. جاء في عشر صفحات، ركَّزت فيه الباحثة الحديثَ عن الحمَّام المغربي منذ بداية العهد الرُّوماني إلى العصر الحديث، دون التركيز على عوامل انتشار الحمَّامات في المغرب خلال العصر الإسلامي، أو ما يتصل بها من قضايا سياسية وإدارية واقتصادية واجتماعية.

وقد تمَّ تحديدُ بداية الفترة الزمنية للدراسة ببداية عصر الدول المستقلة (١٤٠هـ/٧٥٧م)[١١]، باعتبارها تمثِّلُ حدًّا فاصلا بين مرحلة الفوضى التي شهدها المغرب مع نهاية عصر الولاة ومرحلة جديدة في تاريخه شهدت قيام دولٍ حقيقية مستقلة ومستقرة لها سياسات محدَّدة في شتى المجالات. أمَّا نهاية الفترة الزمنية فقد تمَّ تحديدها بسقوط دولة الموحدين الكبرى سنة (٦٦٨هـ/١٢٦٩م) التي تمكَّنت من إحكام سيطرتها على المغرب كلِّه، حيث توزَّع حكمُ المغرب بعدها على ثلاث دول، هي: الدولة الحفصية في المغرب الأدنى، والدولة الزيَّانيَّة في المغرب الأوسط، والدولة المرينيَّة في المغرب الأقصى.

هذا؛ وقد اعتمد البحث على المنهج التاريخي، وبدأ بالحديث عن عوامل انتشار الحمَّامات في المغرب إبَّان فترة الدراسة، ثمَّ تطرَّقَ للحديث عن مواقع الحمَّامات المغربية ومكوناتها المعماريَّة ومصادر مياهها، ثمَّ عرَّجَ على الحديث عن إدارة الحمَّامات والإشراف عليها، وخُتِمَ بتناول الأحداث السياسيَّة والقضايا الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة المتصلة بالحمَّامات.

أولًا: عوامل انتشار الحمَّامات المغربيَّة من بداية عصر الدول المستقلة إلى نهاية عصر الموحدين:

اهتمَّ العرب المسلمون ببناء الحمَّامات في بلاد المغرب وغيرها باعتبارها "منشآت ضروريَّة"[١٢] مرتبطة بالطهارة التي هي شرط من شروط صحَّة الصلاة، فهذه الحمَّامات كانت توفر المياه للمسلمين التي تفي بحاجتهم للنظافة والطهارة، خاصة وأنَّ جلب المياه إلى البيوت في أماكن كثيرة كان صعبًا[١٣]، الأمر الذي أسهم في انتشار الحمَّامات في بلاد المغرب وزيادة أعدادها[١٤]، مصداق ذلك أنَّ مدينة سُوسَة كان بها خلال القرن (الرابع الهجري/العاشر الميلادي) "حمَّامات طيِّبة"[١٥]، كما كان بمدينة القيروان خلال القرن (الخامس

الهجري/الحادي عشر الميلادي) "ثمانية وأربعون حمَّامًا"[١٦]، كما كَثُرَت الحمَّامات في المُنَسْتِير[١٧] ونَفْطَة[١٨] وتاهرت[١٩] ومَدْكُود[٢٠]، وأَفْكَان[٢١]. أمَّا مدينة فاس فكان بها خلال القرن (الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي) "نحو عشرين حمَّاما"[٢٢]، ثمَّ زاد هذا العدد فأصبح في القرن (السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) "ثلاثة وسبعين حمَّامًا"[٢٣]، الأمر الذي يعني أنَّه كان هناك اهتمام متواصل ببناء مزيد من الحمَّامات في المدن المغربية إبَّان فترة الدراسة، مما أدَّى إلى زيادة أعدادها وانتشارها في أقاليم المغرب.

وبالإضافة إلى أهمية الحمَّامات فيما يخصُّ النظافة والطهارة، فإنَّه يمكن حصرُ أهمِّ عوامل انتشار الحمَّامات المغربية وزيادة أعدادها إبان فترة الدراسة في: الازدهار العمراني، واهتمام ولاة الأمر ببنائها، والازدهار الاقتصادي.

(١) الازدهار العمراني:

شهد المغرب مع بداية عصر الدول المستقلَّة استقرارًا سياسيًّا، نتج عنه ازدهارٌ عمراني، تمثَّل في بناء عدد من المدن الجديدة المُسْتَبْحِرَة في العمارة[٢٤] والممثِّلة لمراكز سياسيَّة واقتصاديَّة؛ حيث اهتمت كلُّ دولة من هذه الدول المستقلة ببناء مدينة جديدة تكون عاصمة لها. وفي كل هذه المدن كان الاهتمام ببناء الحمَّامات قائما، باعتبارها من الملامح الرئيسة للعمران[٢٥]؛ ففي المغرب الأدنى أسَّسَ الأغالبة[٢٦] (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م) مدينة رقَّادة التي بناها الأمير إبراهيم بن أحمد سنة (٢٦٤هـ/٨٧٧م)، وعمَّرها بالحمَّامات[٢٧].

وفي المغرب الأوسط اهتمَّ الرستميُّون[٢٨] (١٦٠-٢٩٦هـ/٧٧٧-٩٠٩م) ببناء الحمَّامات في مدينة تاهرت التي بنوها سنة (١٦١هـ/٧٧٨م) واتخذوها عاصمة لدولتهم[٢٩]، وقد أخذت حمَّامات المدينة في الزيادة بعد ذلك[٣٠]، وهو ما لاحظه البكري خلال القرن (الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي)،

فذكر أنَّ المدينة بها "حمَّامات كثيرة، يُسَمَّى منها اثني عشر حمَّاما"[٣١].

وفي المغرب الأقصى أسَّس المِدْراريُّون[٣٢] (١٤٠-٢٩٦هـ/٧٥٧-٩٠٩م) مدينة سِجِلْمَاسة سنة (١٤٠هـ/٧٥٧م) فأصبحت مركزًا للدولة ومقرًّا للحكم[٣٣]، وبنوا فيها الحمَّامات[٣٤]. كما اهتم الأدارسة[٣٥] (١٧٢-٣٦٥هـ/٧٨٨-٩٨٥م) ببناء الحمَّامات الكثيرة في مدينة فاس التي بنوها في المغرب الأقصى سنة (١٧٩هـ/٧٩٥م)، واتخذوها عاصمة لدولتهم[٣٦].

وعندما أسقط الفاطميُّون[٣٧] الدول السابقة، وسيطروا على بلاد المغرب كلِّها سنة (٢٩٦هـ/٩٠٩م)، أسسُوا مدينة المهدية بالمغرب الأدنى سنة (٣٠٨هـ/٩٢٠م)، واتخذوها عاصمة لدولتهم[٣٨]، وبنوا بها الحمَّامات[٣٩] التي وصفها ابن حوقل خلال القرن (الرابع الهجري/العاشر الميلادي) بقوله "حسنة الحمَّامات"[٤٠]، وهو ما أكَّده الإدريسي بعد ذلك خلال القرن (السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي) بقوله :"وحمَّاماتها جليلة"[٤١]. كما اهتم الفاطميون أيضًا ببناء الحمَّامات في مدينة صَبْرَة التي بناها الخليفة المنصور الفاطمي سنة (٣٣٦هـ/٩٤٨م)، وسمَّاها المنصوريَّة، جاعلًا منها عاصمة الدولة بانتقاله إليها[٤٢].

أمَّا بنو حمَّاد[٤٣] في المغرب الأوسط فقد بنوا عاصمتَهم المعروفة بقلعة بني حمَّاد، وبنوا في وسطها الحمَّامات[٤٤]، وهو ما أكدته أعمال الحفريات التي أجريت على موقع المدينة[٤٥].

وجدير بالذكر أنَّ هذه الدول لم تهتم ببناء الحمَّامات في المدن العواصم فقط؛ بل بَنَتْ العديد من الحمَّامات في المدن الأخرى، مصداقُ ذلك أنَّ دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى بَنَتْ الحمَّامات في المدن الأخرى غير مدينة فاس (العاصمة)، مثل مدينة تامَدَلْت[٤٦]، ومدينة البصرة[٤٧]. كما أولتْ دولة الموحدين[٤٨] (٥٤١-٦٦٨هـ/١١٤٦-١٢٦٩م) اهتمامًا كبيرًا ببناء الحمَّامات

في مدن أخرى غير مدينة مَرَّاكُش (العاصمة) كمدينة سَلا[٤٩].

وهكذا يتضح أنَّ الازدهار العمراني الذي شهده المغرب منذ عصر الدول المستقلَّة سنة (١٤٠هـ/٧٥٧م) نتج عنه تأسيس مدن جديدة، تمَّ الاهتمام فيها ببناء الحمَّامات، مِمَّا أدى إلى انتشارها في بلاد المغرب إبَّان فترة الدراسة. وفي ضوء ذلك لا يتفق الباحث مع ما ذهب إليه أحدُ الباحثين من أنَّ تاريخ الحمَّامات في المغرب يعود إلى القرنين (الخامس والسادس الهجريين)[٥٠]؛ فالحمَّامات كانت موجودة في المغرب قبل الفتح الإسلامي له، ثمَّ زاد عددها في العصر الإسلامي؛ نتيجة ازدهار العمران في بلاد المغرب منذ بداية عصر الدول المستقلة بها، ويكفينا أنَّ كتابًا مثل (أحكام السوق) لمؤلفه يحيى بن عمر (ت ٢٨٩هـ/٩٠١م) اهتم بتنظيم بعض أمور الحمَّامات المغربيَّة خلال القرن (الثالث الهجري/التاسع الميلادي) [٥١].

(ب) اهتمام ولاة الأمر ببناء الحمَّامات:

كان من أسباب انتشار الحمَّامات في بلاد المغرب إبَّان فترة الدراسة أنَّ ولاةَ الأمر اهتموا ببنائها، وخاصة أثناء فترات الرفاهية والدَّعة التي كانت تعيشها بعضُ الدول، والتي كانت تسمح للحاكم بتوجيه اهتمامه نحو بناء المؤسَّسات العمرانيَّة، ومنها الحمَّامات التي لم تكن مرفقًا ثانويًّا في بلاد المغرب، بل كانت مظهرًا رئيسًا ومهمًّا من مظاهر العمران، الأمر الذي أسهم في انتشارها في معظم البلاد المغربيَّة؛ فمن المعروف أنَّه كلما عمَّت الرفاهية، وكثر التنعيم ورغد العيش؛ زاد عدد الحمَّامات[٥٢]، وذلك من منطلق أنَّ الحمَّامات هي أصل التنعيم وأهم مظاهر الرفاهية، كما ذكر صاحب كتاب (الاستبصار)[٥٣].

ففي المغرب الأدنى اهتمَّ بنو زيري (٣٦٢-٥٤٣هـ/٩٧٢-١١٤٨م) ببناء مزيدٍ من الحمَّامات في مدينة صَبرة (المنصوريَّة)، حتى بلغ عددُها "ثلاث مائة

حمَّام"[٥٤].

وذكر ابن أبي زرع أنَّ الأمير الإدريسي يحيى بن محمد بن إدريس الثاني (٢٣٤-٢٥٠هـ/٨٤٨-٨٦٤م) كان مهتمًّا ببناء الحمَّامات في مدينة فاس بالمغرب الأقصى خلال فترة عهده [٥٥]. وعندما سيطر الزناتيُّون على المغرب الأقصى قُبَيْلَ ظهور المرابطين اهتمُّوا ببناء مزيد من الحمَّامات في مدينة فاس التي كانت لا تزال تمثِّل قاعدة المغرب الأقصى[٥٦]، فتمَّ بناءُ "حمَّام قُرْقُف، وحمَّام الأمين، وحمَّام الرَّشاشة، وحمَّام الرِّيَاض" بعدوة القرويين منها. في حين تمَّ بناءُ "حمَّام جُرْوَاوَة، وحمَّام الكدَّان، وحمَّام الشيخان، وحمَّام الجزيرة" بعدوة الأندلسيين منها[٥٧].

ثمَّ أعاد يوسف بن تاشفين (٤٨٠-٥٠٠هـ/١٠٧٨-١١٠٦م) بعد ذلك تنظيم فاس بعد دخولها سنة (٤٦٢هـ/١٠٦٩م)، وبنى فيها حمَّامات جديدة [٥٨]، فزاد عدد الحمَّامات بها عن العشرين حمَّاما[٥٩]. والشيء نفسُه فعله الموحدون (٥٤١-٦٦٨هـ/١١٤٦-١٢٦٩م) في المدينة حتَّى بلغت "من العمارة والغبطة والرفاهية ما لم تبلغه مدينة من مدن المغرب"[٦٠]، الأمر الذي انعكس على عدد الحمَّامات التي بُنيت بها خلال هذا العصر[٦١]، فقد "أحصيت الحمَّامات منها المبرزة للناس في تلك المدة، فكانت ثلاثة وسبعين حمَّامًا"[٦٢].

وذكر الزُّهْري أنَّ الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي (٥٢٤-٥٥٨هـ/١١٣٠-١١٦٣م) جلب إلى مدينة مَرَّاكُش الماء، وأكثر من بناء الحمَّامات فيها[٦٣].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الموحدين اهتموا ببناء الحمَّامات في المدن الأخرى غير فاس ومَرَّاكُش، فقد بنوا الحمَّامات في مدينة مكناسة الزيتون بالمغرب الأقصى[٦٤] التي كان بها إبَّان عهدهم ثلاثة حمَّامات، يقول ابن غازي :"وكان بهذه المدينة في أيام الموحدين ثلاثة حمَّامات: البالي، والجديد، والصغير، وهي

باقية لهذا العهد"[٦٥]. كما أحدث فيها أبو زكرياء يحيى بن عُنْصَالْبَه[٦٦] إبَّان عهد الخليفة الموحدي يوسف المستنصر (٦١٠-٦٢٠هـ/١٢١٣-١٢٢٣م) "حمَّامًا كبيرًا حفيلًا محكمًا، فجاء في غاية الإتقان ... وله في إحداث هذا الحمَّام مناقب اشتهرت عنه من إرضائه أصحاب الديار التي اشتراها لذلك في أثمانها، وغير ذلك"[٦٧].

وبالإضافة إلى ذلك، فقد اهتمَّ القائمون على أمرِ بعض الإمارات التي قامت بالمغرب ولم تصل إلى درجة الدولة ببناء الحمَّامات في المدن التي أسَّسُوها أو ارتكزوا فيها، فقد اهتمَّ حكَّام إمارة بني صالح ببناء الحمَّامات في مدينة نَكُور بالمغرب الأقصى[٦٨]، حتى وصفت المدينة بأنَّ "حمَّاماتها كثيرة"[٦٩]. كما كانت الحمَّامات من الخطط الرئيسة في إمارة بني سليمان[٧٠] بالمغرب الأوسط، وبالتحديد في مدينة جُرَاوَة [٧١] التي أسَّسها أبو العَيْش عيسى ابن إدريس العلوي (ت٢٩١هـ/٩٠٣م) سنة (٢٥٩هـ/٨٧٢م)، وبَنَى بها خمسة حمَّامات[٧٢]

(ج) الازدهار الاقتصادي:

مثل الازدهار الاقتصادي عاملًا مهمًّا من عوامل انتشار الحمَّامات في المغرب إبَّان فترة الدراسة؛ فمن الملاحظ أنَّه كلما زاد عدد الأسواق والتجار في المدينة زاد عدد الحمَّامات والفنادق بها[٧٣]، فقد وُصِفت مدينة باشو[٧٤] خلال عصر الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م) بكثرة وجود الزيتون ورواج تجارة الزيت، ومن ثمَّ وجود الفنادق والحمَّامات [٧٥]، كما كَثُرت الحمَّامات في مدينة صَبْرَة (المنصوريَّة) بعدما نقل إليها الخليفة المنصور الفاطمي (٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٦-٩٥٣م) أسواق القيروان، حيثُ أسهم ذلك في توجيه مزيدٍ من الاهتمام نحو بناء الحمَّامات الكثيرة بها؛ كي تقدِّمَ الخِدْمَةَ لمن سكنها من التجار وأهل الحرف والصناعات[٧٦]، وهو الفعلُ الذي كرَّرَه بعد ذلك المعزُّ بن

باديس الصّنْهاجي حينما أمر سنة (٤٠٥هـ/١٠١٤م) بإغلاق حوانيت القيروان، ونقلها إلى مدينة صَبْرة[٧٧]، مما أسهم في توجيه مزيد من الاهتمام نحو بناء الحمَّامات بها، حتَّى بلغ عددها خلال تلك الفترة التي ازدهرت فيها العمارة ثلاثمائة حمَّام[٧٨].

وكانت مدينة قابس كثيرة الأسواق والفنادق والحمَّامات خلال القرن (الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي)[٧٩]، وكذلك مدينة صفاقس التي كانت لها خلال القرن نفسه "حمَّامات وفنادق"[٨٠] تعكسُ نشاطَ أسواقِها العامرة[٨١]، وكذلك مدينة تونس التي تحدَّث عنها البكري خلال القرن نفسه قائلًا :"وبمدينة تونس خمسة عشر حمَّامًا، وفنادق كثيرة رفيعة"[٨٢]، وهو ما أكَّده ابن أبي دينار بقوله :"وبتونس أسواق كثيرة، ومتاجر عجيبة، وفنادق كبيرة رفيعة، وبها خمسة عشر حمَّاما"[٨٣]. كما كان بمدينة باجة خلال القرن (الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي) خمسة حمَّامات وفنادق كثيرة[٨٤]. وازدهرت مدينة مجَّانة[٨٥] بتجارة المعادن خلال القرن نفسه، فكثرت بها فنادق التجار، وتعدَّدت حمَّاماتها[٨٦]. ووصف البكري قرية مُنَسْتِير عثمان الواقعة على بعد ست مراحل من مدينة القيروان بقوله :"هي قرية كبيرة، بها جامع وفنادق كثيرة وأسواق وحمَّامات"[٨٧]، كما عرَّف بمدينة بِسْكَرَة بالمغرب الأوسط، فذكر شهرتها بزراعة الزيتون، وكثرة فنادقها وحمَّاماتها[٨٨]، كما وصف مدينة تَامْدَلْت بالمغرب الأقصى بكثرة أسواقها العامرة وانتشار الحمَّامات بها[٨٩]، ووصف أيضًا مدينة نَكُور بالمغرب الأقصى بأنَّ "بها حمَّامات كثيرة وأسواق عامرة مفيدة"[٩٠].

ومن هنا يمكن تفسير تكرار عبارة "فيها الأسواق والحمَّامات والفنادق" في وصف الجغرافيين لمدن المغرب بأنَّها جاءت للدلالة على أنَّ هذه المدن تُعَدُّ مراكز تجارية نشيطة ومزدهرة، وهو ما يمكن ملاحظته عند ابن حَوْقَل الذي

ألَّف كتابه خلال القرن (الرابع الهجري/العاشر الميلادي)، وذلك في وصفه لمدينة سُوسَة بالمغرب الأدنى بأنَّ "لها أسواق حسنة وفنادق وحمَّامات طيبة[٩١]، وكذلك عند البكري الذي ألف كتابه خلال القرن (الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي)، وذلك في وصفه للعديد من المدن المغربية بأنها ذات أسواق عامرة وفنادق وحمَّامات كثيرة[٩٢]، وهو ما دفع إحدى الباحثات لِأَنْ تقولَ في ثنايا حديثها عن الفنادق المغربية :"ويقتضي وصف المدن الإسلامية إدراج الفنادق ضمن مجموعة من المباني الأخرى، مما يجعل عبارة (وفيها فنادق وأسواق وحمَّامات) من العبارات الشكلية للحديث عن مركز تجاري نشيط"[٩٣].

ومن هذا المنطلق يمكن القول: إنَّ المدن والقرى المغربية الصغيرة التي كانت تضمُّ سوقًا واحدةً كان يكفيها وجودُ حمَّام واحد يفي بغرض سكَّانها وروَّاد سوقها، مثلما كان عليه الحال في المدينة المعروفة بـ (المدينة) بالمغرب الأوسط، والتي كان بها خلال القرن (الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي) "حمَّام وسوق" [٩٤]، وكذلك قرية جَمُونس الصابون بالمغرب الأوسط التي كان بها "سوق عامرة وحمَّام"[٩٥]، وكذلك مدينة غزَّة بالمغرب الأوسط التي قال عنها ابن حوقل خلال القرن (الرابع الهجري/العاشر الميلادي) :"وفيها سوق وحمَّام"[٩٦]، ووصفها الإدريسي في القرن (السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي) بقوله: "وهي مدينة صغيرة القدر، فيها سوق مشهورة لها يوم معلوم، وبها حمَّام"[٩٧]، وكذلك مدينة سوق إبراهيم الواقعة على نهر شَلِف بالمغرب الأوسط، والتي وُصفت خلال القرن (الرابع الهجري/العاشر الميلادي) بأنَّها مدينة صغيرة فيها حمَّام وسوق[٩٨]. وكذلك مدينة الخضراء بالمغرب الأوسط التي كان فيها خلال القرن نفسه سوق وحمَّام[٩٩].

وأخيرًا، فإنَّه بعد الوقوف على عوامل انتشار الحمَّامات في المغرب،

والمتمثِّلة في (الازدهار العمراني، واهتمَّام ولاة الأمر ببناء الحمَّامات، والنشاط التجاري)؛ يجد الباحث أنه من المهم التعريف بالحمَّامات المغربية، من حيث مكوناتها المعماريَّة، ومواقعها، وأنواعها، ومصادر مياهها، وهو ما سيتضح من خلال العرض القادم.

ثانيًا: التعريف بالحمَّامات المغربيَّة:

١- المكونات المعماريَّة للحمَّام المغربي:

تشابه الحمَّام المغربي الإسلامي من حيث مكوناته المعمارية إلى حد كبير مع نظيره الرُّوماني السابق عليه(١٠٠)، غير أنَّ الحمَّام المغربي الإسلامي استغنى عن بِرَك السباحة التي كانت تُبنى في الحمَّامات الرُّومانية، والتي لم تُرَاعِ ما راعاه الإسلام من الآداب العامة، والسَّتْر، وفصل الرجال عن النِّساء(١٠١).

وبصفة عامة، كان الحمَّام عبارة عن بناء متكامل له باب رئيس من الخارج(١٠٢)، وله حجرة تقعُ أمامه تُعْرَفُ بِفَرْنَاج الحمَّام أو فَرْنَاق الحمَّام أو سقايف الحمَّام، كانت مخصصة لتخزين الحطَب الذي يستخدم لإيقاد النار في فُرْن الحمَّام(١٠٣).

أمَّا من الداخل، فكان يتكوَّن من ثلاث غُرَف رئيسة، يتمُّ الانتقال بينها بواسطة أبواب داخلية، تعُرِفَتْ الأولى بالغرفة الباردة أو قاعة الاستراحة واستبدال الملابس(١٠٤)، وقد أُلْحِق بها مرحاضٌ لمن أراد أنْ يقضي حاجته من الزبائن(١٠٥). في حين عُرِفَتْ الثانية بالغرفة الدافئة التي كانت بمثابة المُتَنَفَّس الذي يصادف المستحمين مباشرة بعد خروجهم من الغرفة الساخنة، وقد زُوِّدت هذه الغرفة بحنايا لوضع الملابس والمناشف ولوازم الزبائن(١٠٦). أمَّا الغرفة الثالثة فكانت تُعْرَفُ بالغرفة الساخنة أو البيت السُّخْن، وهي عبارة عن حجرة

ساخنة، كان روَّاد الحمَّام يتجردون فيها من ملابسهم[١٠٧]، وكانت تُعرف أيضًا بالمَسْلَخ، وبخاصة في المغرب الأقصى[١٠٨]، وكانت تتميَّز عن الغرفتين السابقتين بارتفاع درجة حرارتها، وبوجود باب عليها متصِل بالغرفة الدافئة، يتمُّ غلقه؛ للمحافظة على درجة الحرارة بداخلها[١٠٩]. وكان سقف هذه الغرفة يصمَّمُ في الغالب على هيئة قبو نصف اسطواني يحتوي على فتحات صغيرة ينفذ منها الضوء[١١٠]، ويوجد بها حَوْضَان تُغْرَفُ منهما المياه، أحدهما للماء البارد، والآخر للماء الساخن، كما احتوت الغرفة على مصطبات حجرية لجلوس المستحمين عليها تمهيدًا لتنظيف أجسامهم[١١١].

وبالإضافة إلى ذلك كان هناك ما يُعرَفُ ببيت الحمَّام، وهو عبارة عن بيت مقبو تحت الأرض[١١٢]، يكون خاصا بتخزين المياه المستخدمة في الحمَّام[١١٣].

كما كان هناك أيضًا الفُرْن أو الفَرْنَق الذي يُعَدُّ من أجزاء الحمَّام المهمة؛ وذلك بالنظر إلى وظيفته التي تتمثَّل في تزويد الحمَّام بالماء الساخن، ولذا كان له غرفة مستقلَّة عن باقي الغرف، تحتوي على موقد يعلوه القدر الخاص بتسخين الماء، وكذلك مدخل خاص مِنْ خارج الحمَّام، يتمُّ من خلاله إدخال الحطب اللازم لإشعال النار[١١٤]. وكان هذا الفُرْن مسؤولًا أيضًا عن تزويد الغرفتين (الدافئة والساخنة) بالبخار والحرارة عبر قنوات فخارية تمتدُّ تحت أرضية الحمَّام، كما كشفت عن ذلك نتائج بعض الحفريَّات التي أجريت ببعض المدن المغربية[١١٥].

٢- مواقع الحمَّامات المغربية:

يظهر من خلال المعلومات التي أفادت بها المصادر المغربية أنَّ الحمَّامات كانت توجد قرب المساجد؛ حتى يتيسر للمصلِّين التَّطهر قبل الدخول إلى المسجد؛ وذلك لارتباط الحمَّام بالطهارة التي هي شرط من شروط صحَّة الصلاة. ومن أمثلة هذه الحمَّامات: حمَّام النُّعْمَان الذي كان بحذاء مسجد الفقيه

يحيى بن عمر (ت٢٨٩هـ/٩٠١م) بمدينة سُوسَة[١١٦]، وحمام أبي إسحاق الذي كان يقع بجوار أحد مساجد مدينة القيروان خلال القرن (الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)[١١٧]. وكانت هذه الحمَّامات مفتوحة على مدار اليوم؛ حتى يسهل دخولُها من قِبَلِ من أَرَادَ من المُصَلِّين قبل التوجه إلى المسجد لأداء الصلوات[١١٨].

ووجدت الحمَّامات بكثرة أيضًا في أرباض[١١٩] المدن، فقد كان العدد الأكبر من حمَّامات مدينة المهديَّة خلال العصر الفاطمي (٢٩٦-٣٦٢هـ/٩٠٩-٩٧٢م) موجودًا بربضها المعروف بزويلة[١٢٠]، والذي زاد عدد حمَّاماته خلال العصر الزيري (٣٦٢-٥٤٣هـ/٩٧٢-١١٤٨م)، فقد ذكر الإدريسي أنَّ هذا الرَّبَض كان به خلال القرن (السادس الهجري/الثاني عشر اليلادي) "حمَّامات جمَّة"[١٢١]. كما كان لمدينة مِيَلَة بالمغرب الأوسط "حمَّامان في ربضها"[١٢٢]. وكان لمدينة باغاية بالمغرب الأوسط أرباض وجدت فيها الحمَّامات[١٢٣]، وكذلك مدينة سبتة بالمغرب الأقصى التي كان لها خلال القرن (الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي) "ربضٌ من جانب الشرق، فيه ثلاثة حمَّامات"[١٢٤]، وكذلك مدينة فاس بالمغرب الأقصى التي بُنِيَت الحمَّامات بأرباضها خلال عهد الأمير يحيى بن محمد بن إديس الثاني (٢٣٤-٢٥٠هـ/٨٤٨-٨٦٤م) الذي كثرت عمارة فاس في أيامه، و"قصد إليها الناس من الأندلس وإفريقية وجميع بلاد المغرب، فضاقت المدينة بسكانها، فبنى الناس الأرباض بخارجها، وبنى الأمير يحيى بها الحمَّامات"[١٢٥].

ويمكن تفسير كثرة وجود الحمَّامات -وغيرها من المرافق العامة- بأرباض المدن بأنَّه كان نوعًا من تشجيع الحكَّام للعامة على سَكَن هذه الأرباض الجديدة التي بُنِيَ أغلبُها بغرض استيعاب الزيادة السكانية التي شهدتها بعض المدن ذات المقومات الحضارية التي توفرت لها، بحيث يكون "في كل رَبَضٍ من

المساجد والأسواق والحمَّامات ما يقوم بأهله، فلا يحتاجون إلى غيره"[١٢٦].

وارتكز وجود الحمامات أيضًا بجوار الأسواق المركزية والفنادق الكبيرة[١٢٧]، وذلك بغرض تحقيق راحة أهل الحِرَف والتّجار، فلا شكَّ أنهم كانوا يحتاجون إلى النظافة دائمًا بِحُكْمِ طبيعة أعمالِهم[١٢٨]، مِمَّا كان يسهم في تشجيع حركة التجارة، وبخاصة في بعض المدن المغربية التي كانت تستقبلُ أعدادًا كبيرة من التجار الذين كانوا يأتون إليها لبيع محاصيلهم الزراعية، الأمر الذي كان يستدعي مكوثَهم في الفنادق لعدَّة أيام، كما أفادت بذلك فتوى للفقيه يحيى بن عمر (ت٢٨٩هـ/٩٠١م)[١٢٩].

وفي ضوء ذلك يمكن تفسير اجتماع وجود الأسواق والحمَّامات في المدن ذات النشاط التجاري المزدهر، فعلى سبيل المثال لا الحصر كان بمدينة طرابلس إبَّان عصر الموحدين (٥٤١-٦٦٨هـ/١١٤٦-١٢٦٩م) "حمَّامات كثيرة"[١٣٠]؛ نظرا لازدهار التجارة بها[١٣١]، حيث وجد بها عدد كبير من التجار، حتَّى قيل: إنَّ "أكثر أهلها تجار"[١٣٢]. كما كان بمدينة أجدابية إبَّان العصر نفسِه "حمَّامات وفنادق كثيرة وأسواق حافلة مقصودة"[١٣٣]. أمَّا مدينة قابس فكان يتوافد عليها التجار الغرباء بكثرة؛ للحصول على الحرير الذي اشتهرت به، ومن ثمَّ كثرت بها الحمَّامات؛ لتستوعب أعداد التجار الكثيرة، وتقدِّم لها الخدمة اللائقة[١٣٤].

وطبيعي أنْ تهتمَّ الدولةُ بتلبية احتياجات هؤلاء التجار بتلك المدن ذات النشاط التجاري المزدهر بغرض المحافظة عليهم والعمل على زيادة أعدادهم، باعتبارهم يمثلون العامل الرئيس في ازدهار الاقتصاد، وذلك من خلال بناء المرافق الخَدَمِيَّة العامَّة لهم، وعلى رأسها المساجد والفنادق والحمَّامات، ولعل خير دليل على ذلك أنَّ مدينة فاس شهدت إبَّان عهد الأمير دوناس بن حَمَامة المغراوي[١٣٥] (٤٤٠-٥٥٢هـ/١٠٤٨-١٠٦٠م) ازدهارا اقتصاديا غير مسبوق،

فقد قصدها التجار من جميع النواحي، فقام الأمير ببناء المساجد والحمَّامات والفنادق بها لراحة هؤلاء التجار وتقديم الخِدْمَة لهم(١٣٦). كما أنَّ مدينة سَلا بالمغرب الأقصى كان قد تمَّ إعادة تعميرها اقتصاديًّا في عهد الموحدين (٥٤١-٦٦٨هـ/١١٤٦-١٢٦٩م) الذين بنوا فيها قيساريَّة(١٣٧) تعجُّ بحوانيت التجار، وتحقيقًا لهذا الهدف قام الخليفة يعقوب المنصور بن عبد المؤمن (٥٨٠-٥٩٥هـ/١١٨٤-١١٩٨م) ببناء الحمَّامات والفنادق بها بغرض تقديم الخدمة لروَّادها من التجار، مما أسهم في زيادة أعدادهم بالمدينة. وقد عاين كلَّ ذلك صاحبُ كتاب (الاستبصار)، فقال :"وفي هذه المدينة المحدثة قيصارية عظيمة وحمَّامات وفنادق"(١٣٨).

ويظهرُ أنَّ بعض الحمَّامات قد بُنيت في موانى بعض المدن الساحلية بغرض تقديم خدمة الاستحمام والطهارة إلى رواد تلك الموانى من التجار والعاملين، وكان من هذه الحمَّامات حمَّام ابن الزّمرد الذي كان موجودا في ميناء مدينة سُوسَة بالمغرب الأدنى، والذي كان يستقبل الزبائن حتى نهاية عصر الأغالبة على أقل تقدير(١٣٩).

ووُجدت الحمَّامات بكثرة أيضًا في بعض مدن الرِّبَاط، وعلى رأسها مدينة المُنَسْتِير بالمغرب الأدنى التي وصفها البكري في القرن (الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي) بأنَّ "لها حمَّامات كثيرة"(١٤٠)، وهو أمرٌ يفسرُه الباحث بالرغبة في تقديم الخدمة للأعداد الكبيرة التي كانت تقصد المدينة في مواسم معينة من السَّنَة للإقامة بها أياما معلومة، كما أفادت بذلك بعضُ المصادر الجغرافية(١٤١).

كما وجدت الحمَّامات أيضًا بالقرب من الأبواب الرئيسة لبعض المدن، باعتبارها أماكن حيويَّة، يكثر فيها الزبائن مِنْ الغرباء والمسافرين وغيرهم، وقد بلغ من شهرة بعض هذه الحمَّامات أنْ عُرِفَت بها بعض أبواب المدن، فيقال:

باب الحمَّام، مثلما كان موجودًا في مدينتي بِسْكَرَة وتِلِمْسَان بالمغرب الأوسط[١٤٢].

وبالإضافة إلى ذلك كان يوجد بالدِّمْنَة[١٤٣] حمَّام خاصٌ بأهلها من الأضرَّاء والمصابين بالأمراض المزمنة من العلماء والعبَّاد والنُّسَّاك وغيرهم، فقد كان بِدِمْنَة مدينة القيروان خلال عصر الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م) حمَّام خاص بسكانها[١٤٤].

وممَّا سبق يتضح أنَّ وجود الحمَّامات في المدن المغربية كان مرتبطًا – في معظم الأحيان– بوجود المساجد والفنادق والأسواق المركزية وغيرها من الأماكن الحيوية كأبواب المدن، وبعض الموانئ، وبعض مدن الرباط، والدِّمْنَات. وقد حاول بعضُ الباحثين تفسير العلاقة بين هذه المنشآت الحيويَّة في المدن الإسلامية المغربية، فقال :"فالرَّبْطُ بين الفنادق والحمَّامات والمساجد والأسواق هو دليلٌ على الوضعيَّة الإداريَّة والجبائيَّة لمثل هذه المنشآت الحضريَّة. كلُّ هذه المؤسسات هي لفائدة العُموم، ولذلك كانت تحت رقابة السلطات الحضريَّة، وتعود مداخيلُها في كثير من الحالات إمَّا إلى مؤسَّسات وقفيَّة وإمَّا إلى خزينة الدولة"[١٤٥].

٣- أنواع الحمَّامات المغربية:

تنوَّعت الحمَّامات في بلاد المغرب إبَّان فترة الدراسة، فكان منها الحمَّامات الخاصة التي كان الحكَّام وولاة بعض المدن والأغنياء يأمرون ببنائها؛ كيْ يكون استعمالُها مقصورًا عليهم، ومنها حمَّام مدينة فاس الذي كان يستعمله حكَّام الأدارسة بداية من مؤسس الدولة الإمام إدريس الأول (١٧٢-١٧٩هـ/٧٨٨-٧٩٥م)[١٤٦]، وكذلك بعض حمَّامات مدينة رقَّادة الأغلبية التي كان استعمالها مقصورًا على الأمراء الأغالبة وعلية القوم[١٤٧]، وكذلك الحمَّام الخاص الذي بناه الخلفاء الفاطميون لهم في مدينة المهديَّة[١٤٨]، والحمَّام

الخاص الذي كان يدخله الأمير تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي (٤٥٣-٥٠١هـ/١٠٦١-١١٠٧م)[١٤٩]، والحمَّام الذي كان تابعا لقصبة مدينة طرابلس، والذي كان يستعمله ولاة المدينة خلال عصر المرابطين[١٥٠].

كما وجدت الحمَّامات العامة المُبْرزة للناس[١٥١]، والتي انتشرت بكثرة في المدن المغربية المختلفة[١٥٢]، حتى بلغ عددها في مدينة فاس وحدها إبَّان عصر الموحدين (٥٤١-٦٦٨هـ/١١٤٦-١٢٦٩م) ثلاثة وسبعين حمامًا[١٥٣].

هذا؛ وقد عرف المغربُ إبَّان فترة الدراسة تنظيمَ الدخول إلى الحمَّامات بين الرجال والنساء، فكان للرجال حمَّامات خاصة بهم[١٥٤]، وللنساء حمَّامات خاصة بهنَّ[١٥٥]. كما وجدت بعض الحمَّامات المشتركة للرجال والنساء، حيث خُصِّصَت ساعات محدَّدة لدخول الرجال، وساعات أخرى لدخول النساء[١٥٦].

ووجدت أيضًا الحمَّامات المحبسة، ومنها حمَّام الجزارين بمدينة القيروان الذي كان محبسا على قصر الحديد بمدينة سُوسَة، فقد ذكر الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد السّبَائي[١٥٧](ت٣٥٦هـ/٩٦٦م) أنَّه يعتذر عن ثلاثة أشياء فعلها، كان منها دخولُه حمَّام الجزارين بمدينة القيروان، ولم يعلم أنَّ ريعه مُحَبَّسٌ على قصر الحديد بمدينة سوسة[١٥٨]. ومنها أيضًا حمَّام قصبة مدينة طرابلس الذي حُبِّس خلال عصر الموحدين على بعض مساجد المدينة[١٥٩].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الحمَّامات العامة المغربية اختلفت من حيث مساحتها، فقد وجدت الحمَّامات الكبيرة، ومنها الحمَّامان الكبيران اللَّذان كانا موجودين في مدينة البصرة بالمغرب الأقصى قبل تخريبها وهدمها سنة (٣٦٨هـ/٩٧٨م)[١٦٠]. في حين وُجدت الحمَّامات الصغيرة، ومنها الحمَّام الصغير الذي كان موجودا في جزيرة جربة بالمغرب الأدنى، والذي كان مفتوحًا للزبائن حتى نهاية عصر الموحدين[١٦١]، وكذلك الحمَّام الصغير الذي كان موجودًا في مدينة طرابلس بالمغرب الأدنى، والذي دخله التجاني بعد ذلك سنة

(٧٠٨هـ/١٣٠٨م)، فوصفه قائلًا :"ودخلت حمَّام البلد – يقصد طرابلس– وهو المجاور للقصبة، فرأيت حمَّامًا صغير المساحة"(١٦٢).

غيرَ أنَّ مساحة الحمَّام لم تكنْ دليلًا على درجة كفاءته وحسنه، فقد يكون الحمَّام صغيرًا وحَسَنًا في الوقت نفسه، والعكس صحيح، فقد قال التجاني عن الحمَّام الصغير السابق :"إلَّا أنه قد بلغ من الحُسْن غايته، وتجاوز من الظرف نهايته" (١٦٣)، في حين ذكر أنَّ المدينة كان بها حمَّامان آخران أكبر منه في المساحة، "إلَّا أنهما في الحُسْن دونه"(١٦٤). أضِف إلى ذلك أنَّ مدينة سجلمَّاسة بالمغرب الأقصى كان بها حمَّامات كبيرة، تمَّ وصفها من قِبَلِ البكري –الذي شاهدها خلال القرن (الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي)– بأنها "رديئة البناء، غير محكمة العمل، وماؤها زُعَاق(١٦٥)"(١٦٦)، كما أنَّ مدينة تَوْزَر بالمغرب الأوسط كان بها إبَّان فترة الدراسة حمَّام كبير، وُصِف من قِبَلِ بعض شعراء المدينة بأنَّه رديء جدًّا (١٦٧). ولعلَّ السبب في ذلك يعود إلى أنَّ المدينة كان ينزل بها العمَّال الذين كانوا يستعملون هذا الحمَّام بعد الانتهاء من أعمالهم(١٦٨).

٤– مصادر مياه الحمَّامات المغربية:

تعدَّدت مصادر مياه الحمَّامات المغربيَّة، فكان منها العيون والآبار، وبخاصة في مدن المغرب الأدنى الذي وُصف بقلة أنهاره واعتماد أهله على مياه العيون والآبار والمواجل(١٦٩)، فقد كانت مياه حمَّامات مدينة طرابلس تؤخذ من بئر كبير داخل أسوار المدينة يعرف ببئر أبي الكَنُود(١٧٠)، وكانت مياه حمَّامات مدينة قابس تحمل إليها من عَيْن خَرَّارة داخل المدينة(١٧١)، وذلك من خلال قناة يتسرب فيها الماء من خارجها بقوة(١٧٢)، وكان حمَّام دِمْنة مدينة القيروان "يستمدُّ الماء اللازم من بئر عميقة واسعة موجودة في داخل بنائها"(١٧٣)، وكانت حمَّامات مدينة سُوسَة تستمدُّ مياهها من المَوَاجِل التي

كانت تمثِّل المصدر الرئيس للمياه فيها[١٧٤]. ويقول البكري عن مدينة باجة خلال القرن (الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) :"فيها خمسة حمَّامات، ماؤها من العيون" [١٧٥]. كما اعتمدت حمَّامات بعض مدن المغرب الأوسط على مياه الآبار أيضًا، فقد كانت حمَّامات مدينة جُرَاوة تحمل إليها من الآبار الكثيرة العذبة التي كانت توجد داخل المدينة[١٧٦].

بينما اعتمدت أغلب الحمَّامات في المغربين الأوسط والأقصى على مياه الوديان والأنهار التي وجدت بكثرة في مدنهما، مما نتج عنه كثرة عدد الحمَّامات فيها، حيث وُجِدَت الحمَّامات بكثرة في المدن التي تقع على نهر أو يشقها واديها، فعلى سبيل المثال كثرت الحمَّامات في مدينتي مُسْتَغَانِم وأفْكَان بالمغرب الأوسط، فالأولى تقع على الطريق بين تَاهَرْت والبحر، فهي على مقربة من البحر، حيث تقع بالقرب من مصب نهر شَلِف في البحر[١٧٧]، والثانية كان واديها يشقها نصفين، ويمضي منها إلى مدينة تاهرت[١٧٨]. وكان نهر مدينة فاس المعروف بوادي الجواهر ينحدر إليها، فينقسم في داخلها على جداول كثيرة، يُنْتَفَعُ به في حمَّاماتها مباشرة وبدون أي مجهود[١٧٩].

أمَّا مدينة سبتة بالمغرب الأقصى، فكان "يجلبُ الماءُ إلى حَمَّاماتها من البحر"[١٨٠]، وذلك عن طريق حمل المياه على الظهر، مصداق ذلك وصف البكري للمدينة قائلا :"وحمَّاماتها يجلب الماء إليها على الظهر من البحر"[١٨١].

وفي كل الأحوال كانت مياه الحمَّامات تُصْرَف بعدَ استعمالِها عَبْرَ قنوات حتى تصل إلى القناة الأم التي تتجمَّع فيها المياه المستعملة[١٨٢]. وفي حالة التقاء قناة الحمَّام مع قنوات بعض الدور أو اشتراك حمَّام ودار في قناة واحدة؛ كان على صاحب الحمَّام المشاركة مع أصحاب الدُّور في كَنْسِ هذه القنوات أو المشاركة في دفع تكاليف كنسها وإصلاحها إذا سُدَّت أو حدث بها ضرر، كما أفادت بذلك إحدى النوازل التي عُرِضَت على الفقيه المغربي المازري (ت٥٣٠هـ/١١٣٦م)[١٨٣].

٥- بعض المواد المستعملة في الحمَّامات المغربية:

استعملت بعض المواد النباتيَّة في الحمَّامات للتدليك والنظافة أو للعلاج كنبات الجلبان، وأوراق السدر، والفول، ومسحوق التُّرْمس، ونخالة دقيق القمح والشعير(١٨٤). كما استعملت بعض المُرَكَّبَات داخل الحمَّامات للنظافة والعلاج، فعلى سبيل المثال كان يتمُّ إزالةُ الشعر الزائد في الجسم داخل الحمَّامات إبَّان فترة الدراسة، وذلك بواسطة وصفةٍ كانت تتمُّ في الحمَّامات المغربية باستخدام طلاء النُّورَة(١٨٥)، وهو عبارة عن مركَّب من الكالسيوم والزرنيخ، تُطْلَى به الأجزاء التي يُرَاد إزالة الشعر الزائد منها في البدن، ثمَّ يترك فترةً قصيرةً على البدن ويُزَال، فيكون تأثيره فعَّالًا في إزالة الشعر الزائد وتعقيم البدن(١٨٦).

ويظهر أنَّ عملية العلاج من بعض الأمراض كانت تتمُّ داخل الحمَّامات المغربية بواسطة تحضير بعض المركبات أو الوصفات من مواد بعينها، ففي أثناء حديثه عن علاج مرض البُهَاق والبَرَص يقول الطبيب ابن الجزَّار القيرواني (ت ٣٦٩هـ/٩٧٩م) -الذي سعى إلى علاج العلل والأمراض بالأدوية المعتمدة على المواد النباتية وغيرها من المواد التي يهيَّأ وجودها بأيسر كلفة وأيسر مؤونة في البيئة المغربية؛ لينال منافعها عامة الناس وأهل الفقر والمسكنة(١٨٧)- :"وينفع من البُهَاق الأسود أنْ يؤخذ كبريت أصفر ونطرون أحمر أجزاء سواء، ويعمل بخل وزيت، ويسخَّن، ويطلى به الموضع، ثمَّ تدعه حتى يجف، ثمَّ تغسله في الحمَّام، تفعل ذلك ثلاثة أيام، أو تأخذ ورق الزيتون وتطبخها في خل وماء وتغسل به، ثمَّ تدخل الحمَّام فإنه نافع"(١٨٨). ثمَّ ينصح في موضع آخر بأنْ علاج البُهَاق والبَرَص يكونُ بأخذِ "من قلب الجَوْز أوقية ومن الكبريت أوقية ومن حب الرَّنْد نصف أوقية، يُدْرَسُ الجميعُ ويُعجن بماء الكَرَفْس ويُغسل به في الحمَّام بالدلك الكثير فإنه نافع"(١٨٩). كما نقل عن أحد الأطباء القدماء قولَه :"إنَّ الكَرَفَس إذا دُرِسَ، وعُصِرَ ماؤه، ودُلِّك به في الحمَّام؛

نفع لذلك منفعة عظيمة بإذن الله"[١٩٠].

وذكر أيضًا في ثنايا حديثه عن علاج الجَرَب أنْ يأخذ المصابُ نبات الشُّونِيز وحب الرَّنْد وكبريت، ويُعجن الجميع بزيت ويُدهن به في الحمَّام ثلاثة أيام، فإنَّه نافع، كما ينفع المصابَ بالجَرَبِ أيضًا أنْ يغتسلَ في الحمَّام بماء البحر أو بماء الزَّيتون، فإنه نافع[١٩١].

وهكذا؛ يتضح أنَّ الماء الساخن داخل الحمَّامات كان يستعمل لإزالة الأوساخ وتحقيق النظافة، كما كانت هناك مواد أخرى تستعمل داخل الحمَّامات لتعقيم الجلد والعلاج من الإصابة ببعض الأمراض الجلديَّة.

ثالثًا: إدارة الحمَّامات المغربية والإشراف عليها:

١- الهيكل الإداري للحمَّام المغربي:

تكوَّن الهيكل الإداري للحمَّام المغربي إبَّان فترة الدراسة مِنْ:

- **صاحب الحمَّام:** وهو مالكه الذي يتولَّى إدارته بفسه[١٩٢].

- **متقبِّل الحمَّام:** وهو الشخص المكتري للحمَّام، سواء أكان هذا الكراء من الدولة أم من أحد السكَّان[١٩٣]. وفي كلتا الحالتين يكون هذا المتقبِّل هو القائم على أمور الحمَّام وإدارته ومتسلِّم الأجرة عن استعماله[١٩٤].

- **الوقَّاد أو الشَّوَّاط:** وهو الشخص المسؤول عن تسخين مياه الحمَّام مستخدمًا الحطب أو الزَّبَل[١٩٥]، وكان مِنْ الذين عَملوا في هذه المهنة أبو جعفر القَمُّودي (ت٣٢٤هـ/٩٤٥م) الذي قال عنه المالكي :"وكانت بدايته أنه كان يعمل في الحمَّامات، ويخدم بها، ويوقد النار فيها، فهو يومًا يوقد النار فيها وينظر إلى شدة لهبها حتى أيقظه الله عز وجل، لما أراد من هدايته، عند نظره إلى فعل النار بالحطب وما عاين من شدة اللَّهب، فوقع في قلبه ما وقع، فترك الحمّام ولزم عبادة الله عزَّ وجل" [١٩٦].

- **الخادم أو الحكَّاك[١٩٧] أو الحمَّامي[١٩٨] أو الطيَّاب[١٩٩]:** وهو الشخص

الذي يخدم الناس داخل الحمَّام، ويدلِّك أجسادهم[٢٠٠]، سواء في الحمَّامات العامة المُبْرَزَة للناس أم في الحمَّامات الخاصة بالحكام والأمراء وبعض الأثرياء[٢٠١]. وكان هناك خادمات يقمن بتلك المهمة في الحمَّامات الخاصة بالنّساء[٢٠٢]. وقد عدَّ الفقهاء الحمَّامي أو الخادم من أهل الصنائع[٢٠٣].

وقد شاع احتراف الموالي من اليهود بالخدمة في الحمَّامات المغربية[٢٠٤]؛ إذ اعتبرها البعضُ مِن "صُنَعِ الأرذلين"[٢٠٥]. وغالبًا ما كان الحمَّام الواحد يضمُّ أكثر من خادم[٢٠٦]. وكان هؤلاء الخَدَمَة يرتدون أثناء عملهم في الحمَّامات المَيَازر (جمع مِئْزر)، وقد اعتادوا غسلها بالصابون كلَّ عشيَّة، بالإضافة إلى أنهم كانوا يبيِّتُون محاكَّهم التي يحكُّون بها أَرْجُل الناس في الملح والماء كلّ ليلة؛ لكي لا تحمل الروائح الكريهة[٢٠٧].

– **الحجَّام**: وهو من يحلق شعر زبائن الحمَّام ويزيِّنُه[٢٠٨]، وربما ساعدهم في التخلص من الشعر الزائد في أجسامهم [٢٠٩].

– **جامعو الحطب والزبل**: كان لكل حمَّام مجموعة من الغلمان يجوبون المدينة بالبغال؛ ليشتروا الحطب والزَّبَل بغرض تخزينهما في الحجرة المخصصة لذلك خارج الحمَّام؛ حتى يتمَّ استعمالهما في إيقاد النار بهدف تسخين المياه داخل الحمَّام[٢١٠].

– **الحارس**: وهو الشخص المسؤول عن حراسة أثواب الزبائن ومتعلقاتهم داخل الحمَّام؛ منعًا لتعرضها للتبديل أو السرقة[٢١١].

هذا؛ وتشير بعضُ الروايات التاريخيَّة إلى أنّه في بعض الأحيان كان الرجلُ يدخلُ مع صاحبه الحمَّام ليخدمه بنفسه، وغالبا ما كان يحدث ذلك مع كبار المتصوِّفة كنوع من أنواع نَيْل البَرَكَة، مثلما كان يحدث مع المتصوِّف أبي محمد عبد الحميد بن صالح الهسكوري[٢١٢] بمدينة فاس بالمغرب الأقصى[٢١٣].

٢- الإشراف على الحمَّامات المغربية:

تشير الروايات التاريخية إلى أنَّ الإشراف على الحمَّامات المغربية كانت تقع تحت سلطة الحاكم والقاضي، وذلك على النحو التالي:

(أ) الحاكم:

كانت بعض قضايا الحمَّامات ومشاكلها تصل إلى الحاكم، فعلى المستوى النظري أرجع الفقيه يحيى بن عمر (ت٢٨٩هـ/٩٠١م) إلى الحاكم حقَّ تقدير الأدب على صاحب الحمَّام إذا عاد إلى إدخال النساء مِمَّن لا مرض بهنَّ ولا نفاس مرة أخرى بعد التنبيه عليه بعدم فعل ذلك؛ حيث قال عندما سُئل عن ذلك: "لا شيء عليه حتى يُتَقَدَّمَ إليه، فإن عاد بعدُ، فعليه الأدب على قَدْرِ ما يرى الإمام"(٢١٤). وقد رأى يحيى أنَّ طريقة تأديب هؤلاء تكون بغلق حمَّاماتهم أو بالسِّجن(٢١٥).

كما كانت مسألة كَشْفِ النِّسَاء أثناء خروجهن من الحمَّام من المسائل التي أرجعها الفقهاء إلى ولي الأمر؛ حيث أفتوا بضرورة أنْ يقوم وليُّ الأمر بإصدار الأوامر بهدم الحوانيت التي كانت تجاور بعض حمَّامات النساء أو تقابل أبوابها، والتي كان يجلس فيها أهل الفضول لرؤية مَنْ يخرج مِنْ الحمَّام مِنْ النِّساء(٢١٦).

وعلى المستوى التطبيقي كان من ضمن قضايا الحمَّامات التي تصل إلى الحاكم كي يتخذ بشأنها قرارًا قضية كَشْف النساء داخل حمَّامات النِّساء، وبخاصة تلك التي كانت تقع قُبَالة بعض الدُّور(٢١٧)، مِمَّا يسهل كشفُها إذا كانت الدار المقابلة لها مرتفعة، وتعمَّد سكَّانُها كشفَ النّساء داخل الحمَّام، ولعلَّ أصدقَ مثال على ذلك ما حدث إبَّان عصر الموحدين (٥٤١-٦٦٨هـ/١١٤٦-١٢٦٩م) عندما قام أبو القاسم بن الملجوم المعروف بابن رُقَيَّة ببناء عُلَيَّةً (غرفة مرتفعة) على داره من حارة لُوَاتة بعدوة القرويِّين في مدينة

فاس بالمغرب الأقصى، وذلك في شهر رجب سنة (٥٧٨هـ/١١٨٢م)، فَرُفِعَ عنه إلى الخليفة الموحدي يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن (٥٨٠-٥٩٥هـ/١١٨٤-١١٩٨م) أنَّه يكشف من تلك العُلِّيَّة على مَسْلَخ حمَّام بِنْت البَان المجاور لداره، فينظر منها إلى النِّسوة إذا تَجَرَّدْنَ في مَسْلَخ الحمَّام المذكور، وشُهِدَ عليه بذلك عند الخليفة، فقام الخليفة بإصدار الأوامر إلى قاضي فاس أبي محمد التَّادلي بهدم العليَّة وتعفية أثرها، فَهُدِّمَتْ في يوم الأربعاء ثالث يوم من رجب سنة (٥٨٨هـ/١١٩٢م)[٢١٨].

معنى ذلك أنَّ الحاكم كان يصدرُ بعض القرارات التصحيحيَّة بشأنْ بعض قضايا الحمَّامات إلى القاضي الذي يتولَّى بدوره تنفيذها.

(ب) القاضي:

لم يتقصر دور القاضي فيما يخصُّ قضايا الحمَّامات على تنفيذ قرارات الحاكم بشأنها فقط، بل كان القاضي له حقُّ الإشراف المباشر على الحمَّامات واتخاذ القرارات بشأنها، سواء تعلَّقت هذه القرارات بمسائل الحمَّامات نفسها كالشفعة وغيرها[٢١٩] أم بالأضرار التي قد تنتج عن بناء بعض الحمَّامات الجديدة[٢٢٠].

وكان القضاة الفرعيُّون[٢٢١] المنتشرون في مدن المغرب وقُرَاه يتولُّون مهمَّة الإشراف على الحمَّامات الموجودة في تلك المدن والقرى، وعندما يلاحظون أمرًا منافيًا للآداب العامة أو مشكلة تتعلَّق بأحد الحمَّامات، فإنهم كانوا يرفعونها إلى القاضي العام الموجود في عاصمة الدولة؛ كيْ يتخذَ قرارًا مناسبًا حيالها، يتولونَ هم أمرَ تنفيذه، دليلُ ذلك أنَّه قد "كَتَبَ إلى ابن طالب (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م) بعضُ قضاته في حمَّام قد ضاقوا منه، ورأوا أنَّه مُنْكَرٌ عظيم، فأخذوا رأيه في ذلك"[٢٢٢].

وجدير بالذكر أنَّ قرارَ القاضي كان يصل في بعض الأحيان إلى الحكم

بهدم جزء من الحمَّام، وذلك في حالة إذا تعدَّى باني الحمَّام على جزء من طريق فيها حقٌّ لحبس أو مُرْتَفق للمسلمين، دليل ذلك تلك النازلة التي نزلت بمدينة سبتة بالمغرب الأقصى خلال عصر المرابطين (٤٤٨- ٥٤١هـ/ ١٠٥٦- ١١٤٦م)، والتي أفادت بأنَّ قائما احتسب على رجل بنى حمَّاما، وأُثْبِتَتْ شهاداتٌ بأنَّه أدخل فيه طريقًا لدار فيها جزءٌ حُبِّسَ على مسجد، وأدخل مع الطريق رَحْبَةً (أرض واسعة) فيها مُنْتَفَعٌ للمسلمين، فقبل القاضي شهاداتِهم، وهدم جزءًا من الحمَّام حتى أخرج الرَّحْبَة التي فيها حقوق المسلمين(٢٢٣).

وكان القاضي يحكم أيضًا في مسائل الضَّرَر الناتجة عن بناء بعض الحمَّامات، وذلك عندما يقوم شخصٌ ببناء حمَّامٍ ملاصق لإحدى دور الجيران، فيقوم صاحب الدار الواقع عليها الضرر برفع شكواه عند القاضي الذي كان يحكم بأنَّ الجارَ المضرورَ له الحقُّ في منعِ جارِه من بناء الحمَّام، سواء أكان ذلك قبل إتمام بناء الحمَّام ووقوع الضرر أم بعد اكتمال بنائه ووقوع الضَّرَر بالفعل. وكان حقُّ المُتَضَرِّر يقوى إذا شهد بوقوع الضَّرَر أهلُ البصر بالبناء، فقد سئل المفتي الفاسي منصور بن أبي فَانُوس(٢٢٤) (ت٥٥٦هـ/١١٦٠م) "في دارين متلاصقتين لرجلين، أراد أحدهما أن يبني في داره حمَّاما، فقال له صاحب الدار الثانية: إن بَنَيْتَه أضرَّ ذلك بساكني الدار الثانية، وشهد فيه أهلُ البصر بالبناء، وثبت العقد عند قاضي موضعهما. فهل ترى –وفقك الله– بعد إثبات هذا العقد أن يباح له البناء حتى يستبين الضَّرَر بعد البناء، أم يُمْنَع من البناء بما ثبت القاضي؟" فأجاب قائلا :"إذا كان الأمر على ما ذكرتَه في ذلك، فله أن يمنعَ الباني للحمَّام من بنائه قبل أنْ يبنيه وبعد أنْ يبنيه"(٢٢٥).

وفي بعض الأحيان كان القاضي يلجأ إلى استشارة بعض الفقهاء المعروفين بالفتوى في بعض قضايا الحمَّامات، مثلما كان يحدث مع الفقيه المفتي يحيى بن عمر (ت٢٨٩هـ/٩٠١م) الذي سُئِل "عن صاحب الحمَّام إذا

أَدْخَل نساءً لا مرضَ بهنَّ ولا نِفَاسَ"[٢٢٦]. كما سُئِلَ في موضع آخر عن "صاحب الحمَّام اطُّلِعَ عليه، وقد أدخل نساءً ليس بهنَّ مرضٌ ولا نِفاس"[٢٢٧].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ بعض قضايا حمَّامات مدينة سَبْتَة ومشاكلها كانت تصلُ إلى فقهاء الأندلس؛ كي يفتوا فيها[٢٢٨]، مصداق ذلك أنَّ أحد بُنَاةِ الحمَّامات بها تعدَّى على طريق لدار محبَّس بعضها على مسجد، فحكم القاضي بإزالة هذا التعدِّي بعد إقرار الشهود به، " ثم تراخى الأمر وصُرِف ذلك الحُكْم؛ رجاء النظر بعد إلى غيره، وقد مات الشهود قبل أن يحدِّدوا مقدارَ الطريق التي للدار المحبّس بعضها، فعرضَ باني الحمَّام الصلحَ على أنْ يُلْزِمَ نفسَه بكراء هذه الطريق بدلًا من هدم جزء من الحمَّام، زاعما أنَّ منفعة المسجد بكراء هذه الطريق ظاهرة، وأن المسجد لها محتاج، ولا منفعة له بإخراج الطريق[٢٢٩]. وقد أرسلت هذه النازلة إلى الفقيه الأندلسي ابن رشد (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م)، فجاء ردُّه بأنَّه "إن كانت الدار محتاجة إلى الطريق لوجه منفعة لها فيها وجب هدم البناء منها وردّها إلى حالها، وإن لم يكن للدار فيها منفعة لاستغناء بها عنها بسواها فلا أرى أن يهدم على باني الحمَّام ما بناه في الطريق، ويُشْهَدُ عليه إنْ احتيج إليه يوما ما لاستحقاق الطريق الأخرى أو بما سوى ذلك، وإن التزم الكراء فيها شُهد عليه بذلك تحصينًا للأمر" [٢٣٠].

رابعًا: الحمَّامات المغربية وبعض الأحداث السياسة:

كان للحمَّامات في المغرب إبَّان فترة الدراسة صِلَةٌ ببعض الأحداث السياسية، مصداق ذلك أنَّ حادثة وقعت في أحد حمَّامات عدوة القرويين بمدينة فاس خلال عهد دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى (١٧٢- ٣٧٥هـ/٧٨٨-٩٨٥م) كانت سببا في اندلاع ثورة كبيرة ضدَّ أحد أمراء هذه الدولة، وهو الأمير يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس (ت٢٥٠هـ/٨٦٤م) الذي ترجمت له المصادر فذكرت أنه كان منهمكًا في الشراب، مُعْجِبًا بالنساء، وأنه أساء السيرة،

ودخل على جارية من بنات اليهود في الحمَّام، اسمها حَنَّة، وكانت بارعة في الجمال، وراودها عن نفسها، فاستغاثت، فبادر إليه الناس منكرين فعله، وتغيَّر عليه أهل فاس بسبب ذلك، ووثب عليه عبدالرحمن بن سهل الجذامي، وهو جد أحمد بن أبي بكر بن عبدالرحمن الذي هو صاحب فاس، فأخرجه عن عدوة القرويين في مدينة فاس، فهرب إلى عدوة الأندلسيين، فمات بها من ليلته فقعةً وندامةً لما صنع بنفسه وما وقع فيه من العار والخجل والفضيحة[٢٣١].

ولا نعدم وجود بعض الإشارات عن ارتباط الحمَّامات بالأحداث السياسية إبَّان عصر الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م)، فقد كانت مكانًا لانتقام بعض الأمراء من فتيانهم، يقول ابن عذاري في ثنايا تأريخه لعصر الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد (٢٦١-٢٨٩هـ/٨٧٥-٩٠٢م)، وبالتحديد سنة (٢٨٩هـ/٩٠١م): "وأدخل كثيرًا من فتيانه الحمَّام، وأغلق عليهم باب البيت السُّخْن، فماتوا فيه جميعا"[٢٣٢]. كما أنَّ قتل الأمير الأغلبي عبدالله ابن إبراهيم ابن أحمد سنة (٢٩٠هـ/٩٠٣م) ارتبط بأحد حمَّامات مدينة رقَّادة، وذلك عندما استغلَّ فَتَيَان من فِتْيَانِه خروجَه من الحمَّام، فانقضَّا عليه وقَتَلاه بالسَّيْف[٢٣٣].

وفي العصر الفاطمي (٢٩٦-٣٦٢هـ/٩٠٩-٩٧٢م) كان دخول الحمَّام من الإجراءات التي تحمي الفرد من بطش الخلفاء الفاطميين؛ فالشاعر أبو القاسم الفَزَاري[٢٣٤] هَجَا الفاطميين الشيعة، وذمَّ عقيدةَ مذهبهم بقصيدة رائيَّة طويلة[٢٣٥] في أيام ثورة أبي يزيد الخارجي[٢٣٦]، بحضرة علماء القيروان. فلما فشلت الثورة وقُتِل قائدها أمرَ الخليفة الفاطمي المنصور (٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٥-٩٥٢م) باعتقال الفَزَاري وقتله، ففزع وخاف خوفًا عظيمًا واختفى ثمَّ لجأ إلى أحد كبار علماء المالكيَّة يستنجد به وهو أبو إسحاق إبراهيم السِّبائي (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م) -وكان معروفًا بكرهه للفاطميين وبصلابته في معارضتهم وأحد المشاركين في ثورة أبي يزيد- فذكر له ما يخافه على نفسه من القَتْل،

فقام الشيخ أبو إسحاق فدخل خزانته، وأقبل يدعو ويقول كلامًا بعضُه يُفْهَمُ، وبعضُه لا يُفْهَمُ، ثمَّ قال لأبي القاسم: امضِ اشترِ غداءك، وادخل الحمَّام، وامضِ إليه، فلن ترى شيئًا تخافُهُ. فخرج أبو القاسم من عنده، وفعل ما أمره به من الغداء ودخول الحمَّام، ثمَّ مضى إلى المنصور الفاطمي فدخل عليه، فقال بعضُ مَنْ في مجلسه: يأمرك السلطان بأن تنشد ما قلت في أيام أبي يزيد، فتوقف عن ذلك وخاف، فقال: أَنْشِدْ ولك الأمان، فأنشده القصيدة الرَّائية. فلمَّا فرغَ من إنشادها لم يعرض له إسماعيل بسوء(٢٣٧).

ومثَّلت الحمَّامات أيضًا مكانًا مناسبًا للانقضاض على الثوار وقتلهم، فقد حدث إبَّان عصر الدولة الزيرية بالمغرب الأدنى (٣٦٢-٥٤٣هـ/٩٧٢-١١٤٨م) أنْ ولَّى المعز بن باديس (٤٠٦-٤٥٣هـ/١٠١٥-١٠٦١م) على مدينة صفاقس منصور البَرْغَوَاطِي، وكان من الفرسان المعروفين بالشجاعة والإقدام، فأراد أن يثور بها، وأخذ في محالفة العرب الذين كانوا قد سيطروا على معظم إفريقيَّة، فعاجله ابن عمِّه حَمُّو بن مَلِيل وقتله غدرًا في الحمَّام، وذلك سنة (٤٥١هـ/١٠٥٩م) (٢٣٨).

كما كانت غُرَف تخزين الحطب مكانًا لمواراة جثث بعض القتلى، فقد ذكر ابن عذاري أنَّه في سنة (٦٣٣هـ/١٢٣٥م) ثار شخص من صنهاجة على الموحدين بمقربة من مدينة سِجِلْمَاسة بالمغرب الأقصى حتَّى اقتحمها بِرَأْيٍ من أهلها ومساعدة له، فقَتَلَ واليها من قِبَلِ الموحدين أبا يعقوب يوسف بن علي، ودَفَنَه في حجرة تخزين الحطب الخاصة بأحد حمَّاماتها(٢٣٩).

هذا؛ ولا نبتعد عن الحقيقة إذا قلنا بأنَّ الحروب والفتن كانت تؤثر بالسَّلْب في أوضاع الحمَّامات؛ حيث كانت تتسبَّب في تخرَّيب حمَّامات بعض المدن، مثلما حدث لحمَّامات مدينة رقَّادة الأغلبية بالمغرب الأدنى التي تعطَّلت وخُرِّبَت على يدِ الفاطميين الشيعة الذين خرَّبوا المدينة وانتقلوا منها إلى مدينة المهدية

منذ سنة (٣٠٨هـ/٩٢٠م) الأمر الذي نتج عنه تخريب مختلف المؤسسات العمرانية برقَّادة، ومنها الحمَّامات[٢٤٠]. ومثلما حدث للحمَّامَيْن الكبيرَيْن بمدينة البَصْرَة الإدريسية بالمغرب الأقصى اللذَيْن هُدِّمَا مع هَدْم المدينة وتخريبها والقضاء عليها تمامًا على يد أبي الفتوح يوسف بن زيري بن مَنَاد الصّنْهاجي (٣٦٢-٣٧٣هـ/٩٧٣-٩٨٤م) صاحب إفريقيَّة من قِبَلِ العزيز بالله الفاطمي سنة (٣٦٨هـ/٩٧٨م) [٢٤١]. كما خُرِّبَتْ حمَّامات مدينة صَبْرة (المنصوريَّة) الفاطمية على إثْرِ الغزو الهلالي للمدينة، مصداق ذلك حديث الإدريسي خلال القرن (السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي) عن المدينة بصيغة الماضي قائلًا :"وكان فيها أيام عمارتها ثلاث مائة حمام"[٢٤٢]، ثم يقول في موضع آخر: "قد أتت العرب على عمارتها وطمست آثارها"[٢٤٣]. كما تسبَّبت فتن العرب في تخريب مدينة زويلة الفاطمية والقضاء على نشاط الحمَّامات الكثيرة التي كانت بها، حيث لم يبق للمدينة أثر مع نهاية عصر الموحدين سنة (٦٦٨هـ/١٢٦٩م)[٢٤٤].

وقد تعرَّضت الحمَّامات الكثيرة التي كانت موجودة في مدينة نَكُور بالمغرب الأقصى للتعطيل والتخريب بعد تعرُّض المدينة للتخريب الكامل على يد المرابطين الذين دخلوا المدينة وخربوها سنة (٤٧٣هـ/١٠٨٠م)، "فلم تُعَمَّر بعد"[٢٤٥]. كما تعرَّضت بعض حمَّامات مدينة مكناسة الزيتون بالمغرب الأقصى للتعطيل من جرَّاء الحصار الشديد الذي فرضه عليها الموحدون بقيادة عبدالمؤمن بن علي (٥٢٤-٥٥٨هـ/١١٣٠-١١٦٣م) لمدة أربع سنوات تقريبًا منذ نهاية عام (٥٤٠هـ/١١٤٥م)، حيث تمكن الموحدون بعد هذا الحصار من دخول المدينة بعدما ساءت أحوال أهلها[٢٤٦].

وجدير بالذكر أنَّ زبائن بعض الحمَّامات كانوا يتعرضون للضَّرب في بعض الأحيان، وذلك إذا تَزَامَنَ وجودُهم في الحمَّام مع تعرُّض المدينة لحملة

عسكرية مفاجئة. ولعلَّ من الدلائل على ذلك ما حدث لزبائن حمَّام مدينة تلمسان بالمغرب الأوسط الموجود بجوار أحد أبوابها الرئيسة[٢٤٧]، فقد تعرضوا للضَّرب أثناء هجوم الموحدين بقيادة عبد المؤمن الموحدي على المدينة بغرض تملُّكِها من المرابطين بقيادة تاشفين بن علي بن يوسف سنة (٥٣٩هـ/١١٤٥م)، حيث دخل الموحدون المدينة، وأخذوا في قتل أهلها والتفتيش عن الأموال في كل مكان فيها[٢٤٨]، فقد حكى أبو محمد عبدالله بن مُعَلَّى المعاصر لتلك الأحداث قائلًا :"فلما وصلنا تلمسان دخلنا الحمَّام، فبينما أنا في الحمَّام مع جماعة إذ أُغلق بابُه، وأُخرج جميع من فيه، وضُرب كلٌّ واحد منهم بالسَّوْط، فلما وصلتْ النَّوْبة إليَّ قال الذي تولَّى أمرهم: اطلقوا هذا، وعافاني الله بدعاء ذلك الرجل"[٢٤٩].

خامسًا: الحمَّامات المغربية وبعض القضايا الاقتصادية:

١- الحمَّام مشروع استثماري:

كانت الحمَّامات من المشاريع المربحة والجاذبة للاستثمار بالنسبة لبعض الدول المغربية؛ فالأرباح التي تدرها أجور الخدمات المقدمة داخل الحمَّامات والضرائب المفروضة عليها وأموال الكراء كانت تنعشُ خزينة الدولة [٢٥٠]، كما كانت الدولة تسمح لعمَّالها بالاستثمار في بناء الحمَّامات، حدث ذلك خلال العصر الزيري (٣٦٢-٥٤٣هـ/٩٧٣-١١٤٨م)، حيث كان العمَّال المقربون من السلطة الزيرية يشترون الأراضي بغرض بناء الحمَّامات عليها، ثم يقومون بكراء تلك الحمَّامات لمن يقومون بإدارتها مقابل دفع مبلغ معين لهؤلاء الأمراء[٢٥١].

وقد تبقى تلك الحمَّامات بأيدي من قاموا بكرائها حتى تنهدم فيبنونها وتصير لهم كالملك مع الاستمرار في دفع الكراء مقابل الانتفاع بها، وإذا حدث وعُزِلَ أحدُ هؤلاء المقربين مِمَّن بنوا الحمَّامات وأكروها عن منصبه فإنَّ من يلي

بعده يتولَّى أخذَ أكرية هذه الحمَّامات. وكانت المشكلة تقع في حالة إذا ما سُجِنَ العامل الباني للحمَّام أو من تولَّى بعده أخذ كرائه، وهنا كان الناس يسألون عن مصير تلك الحمَّامات، فقد عُرِضَتْ نازلةٌ على الفقيه المغربي المازري (ت٥٣٠هـ/١١٣٦م) بخصوص هذا الشأن، فأفتى بأنَّه إذا قام الذين بيدهم تلك الحمَّامات بتوجيه ثمن كرائها في سبيل الخير وأجروه في منافع المسلمين جاز ذلك، وإلَّا فليخرج مَنْ اشترى أو اكترى الثمن ثانية إلى ما يعود على المسلمين نفعُه، إمَّا إلى مساكين أو سبيل من سُبُل الخير الأخرى(٢٥٢).

ولم يقتصر الاستثمار في الحمَّامات المغربية على الدولة وعمَّالها فقط، بل وجدت بعضُ الحمَّامات التي بناها بعضُ الخواص من غير الطبقة الحاكمة، وذلك لمردودها المادي الجيِّد(٢٥٣)، حيث نظر بعض المغاربة إلى هذه الحمَّامات على أنها مشروع استثماري لهم أو لأبنائهم من بعدهم، وعلى هذا الأساس كانوا يبنونها، مصداق ذلك أنَّ هاشم بن مسرور (ت ٣٠٣هـ/٩١٥م) اجتاز بابن العَزْفِي، وهو يبني الحمَّام، فقال له: ما هذا الذي تبني؟ فقال له: أخرجت ألف دينار أبني بها حمَّاما يكون عدَّة لولدي بعدي، فدعا له وانصرف. فلما وصل إلى بيته أخرج ألف دينار ثم قال : اللهم إنَّ ابن العزفي أخرج ألف دينار يبني بها حمَّاما يكون عدَّة لولده، وإني أخرجتُ هذه الألف دينار لوجهك، فأنت عدَّة لولدي، ثم تصدق بها كلها على الفقراء والمساكين"(٢٥٤).

٢- بيع الحمَّامات المغربية وكراؤها والشركة فيها:

يقر الباحث في البداية بأنَّ المعلومات الواردة في المصادر المغربية بشأن التفاصيل الخاصة ببيع الحمَّامات وشرائها تكاد تكون نادرة، هذا على الرغم من وجود بعض الإشارات التي توضِّح أنَّ هناك عمليات بيع وشراء لبعض الحمَّامات قد تمّت، ولعل منها الإشارة المهمَّة التي تضمنتها إحدى النوازل التي وقعت بمدينة سَبْتَة بالمغرب الأقصى خلال عصر الموحدين وبالتحديد في سنة

(٥١٥هـ/١١٢١م)، وعُرِضَتْ على القاضي عياض (ت٥٤٤هـ/١١٤٩م)، والتي تتعلَّق بوصيَّة تخصُّ بعضَ أفراد أسرة بني غازي السبتية المعروفة بالثراء، والتي قام فيها المُشْرِفُ على الوصية بشراء حمَّام بمدينة سبتة لمحجور[٢٥٥]. وكذلك الإشارة التي تضمنتها رحلة التجاني، والتي أفادت بأنَّ أحد حمَّامات مدينة طرابلس كان من ضمن منافع قصبة المدينة المملوكة لأمرائها، ثمَّ بِيع من جملة ما بِيع منها قُبَيْل عصر الموحدين[٢٥٦].

ويظهر أنَّ مسألة شراء الحمَّامات من الأمراء كان لها صدى في النوازل الفقهية التي عُرِضت على الفقهاء، دليل ذلك تلك النازلة التي عُرِضَت على الإمام المازري (ت٥٣٠هـ/١١٣٦م)، والتي سئل فيها عن مدى جواز أنْ تُشْتَرى الحمَّامات من الأمراء[٢٥٧].

وقد يحدث أنْ يشترك شريكان في حمَّام واحد، على أنْ يكون لكل منهما حِصَّة في الحمَّام[٢٥٨]، وقد يقوم أحدُ الشريكين ببيع حِصَّته لمشترٍ جديد. وفي هذه الحالة يستوجبُ على هذا الشَّريك أنْ يُعْلِمَ الشريكَ الثاني بأنه يريد أنْ يبيعَ حصَّته[٢٥٩]، فإن أراد شراءها منه كان الأحقَّ بها، وذلك من منطلق مبدأ الشفعة الذي أوجبه الإمام مالك (ت١٧٩هـ/٧٩٥م) "في ما لا ينقسم كالحمَّام"[٢٦٠].

غَيْرَ أنَّ هذه البيوع لتلك الحِصَص في الحمَّامات كان يشوبها –في بعض الأحيان– غموض وخداع، حتَّى طال ذلك بعضَ الفقهاء المعروفين، الأمر الذي كان يقع معه الخلاف حول المستحِقِّ للحِصَّة المُبَاعة؛ أهو المشتري الجديد أم الشريك القديم؟ وكان الأمرُ يُرفع في النهاية إلى قاضي المدينة ليحكمَ فيه.

وقد حدث ذلك في مدينة سَبْتَة بالمغرب الأقصى قُبيل ظهور المرابطين، وكانت في هذا الوقت تابعة لصاحب الأندلس[٢٦١]، فقد اشترى الفقيه السَّبْتي

يحيى بن تمّام[٢٦٢] حصة حمَّام كان لرجل يعرف بابن اللَّوْنَكَة[٢٦٣] فيه حِصَّة، فخاف الفقيه ابن تمام أنْ يَتَقَدَّمَ الشَّرِيكُ بالشُّفْعَة، فطلب من البائع أن يَشْهَدَ له في الظاهر بأنَّه تصدَّق عليه بحصته ولم يبعْها له؛ كي يقطع على الشريك شفعتَه، ففعل. وعلى الرغم من ذلك قام الشريك بالشُّفْعَة، فدافعه ابنُ تمّام بالصَّدَقة، فوقع الخلاف، فترافعا إلى قاضي مدينة سَبْتَة سليمان القباعي؛ كي يفتي في القضية ويصدر فيها حكما، فأفتى –بعد مشاورة عدد من فقهاء سَبْتَة– أنَّه لا شفعة في الصدقة، وعليه فالحصة من نصيب الفقيه ابن تمام؛ ولكن ابن اللونكة (الشَّرِيك) رفض ذلك الحكم وطلب الاحتكام إلى فقهاء قرطبة، حيث قال: "لا أرضى إلا بفتوى فقهاء الحضرة بقرطبة"[٢٦٤]. فما كان من قاضي سَبْتَة سليمان القباعي[٢٦٥] إلا أنْ كتب بالشكوى إلى فقهاء قرطبة، مبتدأ في ذلك بالفقيه أبي عمر بن المكوي[٢٦٦] (ت ٤٠١هـ/١٠١٠م) الذي أفتى بأنَّ ما فعله الفقيه يحيى بن تمّام يُعَدُّ من حِيَلِ الفُجَّار، وأنَّ الشُّفْعة واجبة، فَنُفِّذَتْ فتياه، وأخذ الشفيع بشفعته[٢٦٧]. ويُذْكَرُ أنَّ ابن تمَّام عندما تيقَّن من ضعف موقفه –في ظلِّ تمسُّكِ الشَّريك صاحب الشُّفعة بحقه في شراء حصة الشريك البائع مستندًا في ذلك بفتوى فقيه قرطبة– قال للشريك صاحب الشفعة: "هات مالي وخُذْ حمَّامك"[٢٦٨].

وبالإضافة إلى عمليات بيع الحمَّامات وشرائها، كان هناك أيضًا عملية كراء الحمَّامات من بعضِ أصحابها، حيث كان يطلق على المُكْتَرِي (متقبّل الحمَّام)[٢٦٩] أو (مُكْتَري الحمَّام) [٢٧٠]. وقد يتمُّ كراء هذه الحمَّامات من الدولة مقابل دفع مبلغ معيَّن من المال[٢٧١]، أو من قِبَلِ بعض الخواص بمقتضى عقد كراء، يُنَصُّ فيه على: اسم المُكْتَرِي، واسم صاحب الحمَّام، وموقع الحمَّام بشكل محدَّد، وأنَّ عملية الكراء تشملُ جميع الحمَّام بحقوقه ومنافعه ومرافقه الداخلية والخارجيَّة ومصاطبه ورخامه وبنيانه وقدره وبئر سانيته وسقايفه المُعَدَّة للحطب

والزَّبل، بالإضافة إلى النصِّ على مدِّة الكراء، وقيمته، وطريقة سداده[٢٧٢]. وفي بعض الأحيان كان يشترك في كراء الحمَّام أكثر من فرد[٢٧٣].

وكانت بعضُ عقود الكراء تتضمَّنُ شرطًا ينصُّ على أحقيةِ أنْ يدخلَ صاحب الحمَّام (هو وأهله) الحَمَّامَ الذي أكراه لغيره كل يوم جمعة (إذا كان مسلمًا) أو كل يوم أحد (إذا كان نصرانيًّا) خلال مدِّة الكراء[٢٧٤].

٣- أجرة دخول الحمَّام المغربي:

تكادُ تكون معلوماتنا عن أجرة دخول الحمَّامات المغربية نادرة جدًّا، حيث تنحصرُ في المعلومات التي تُفيدُ بأنَّ دفعَ أجرةِ استعمال الحمَّام كان يتمُّ بعد الانتهاء من استعماله، مصداق ذلك ما ذكره صاحب كتاب (التشوف) من أنَّ أبا محمد عبد الحميد بن صالح الهَسْكُوري (من أهل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) عندما خرج من الحمَّام بعد استعماله أخرج الأجرة ليعطيها لصاحب الحمَّام، وكانت عبارة عن بعض الدراهم[٢٧٥].

وهناك إشارة أخرى تضمنتها إحدى النوازل التي عُرِضَت على الفقيه السيوري (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م) تفيدُ بأنَّ أجرة إخلاء الحمَّام لامرأة واحدة تستقلُّ به في قضاء حاجتها من زوال وَسَخٍ وصلاح بدن ونحو ذلك كانت تتراوح "من درهم إلى درهم ونصف"[٢٧٦]، الأمرُ الذي يشير إلى أنَّ أجرة دخول المرأة الحمَّام بصفة عامة وفي الظروف العاديَّة كانت أقلَّ من درهم.

٤- تضمين صاحب الحمَّام:

شاع استخدام مصطلح التضمين، وقُصِدَ به عمومًا إلزام أهل كلِّ صناعة بدفع التعويض عمَّا أفسدوه، وهو من المبادئ الفقهية التي أُفْرِدَت لها فصولٌ كاملة في كتب الفقه المالكي[٢٧٧]. ومن منطلق أنَّ صاحب الحمَّام يُعَدُّ في حكم الصانع؛ لأنَّ المقصود منه التنظيف والاغتسال؛ فقد رأى بعض الفقهاء والقضاة تضمينَه، حيث جرت العادة بخيانته في ثياب الناس[٢٧٨].

وتفيد المعلومات المتاحة بأنَّ صاحب الحمَّام كان لا يضمن ما تلف عنده من ثياب أو أموال مع بدايات عصر الدول المستقلَّة في المغرب، الأمر الذي كثرت معه شكاوى مستعملي الحمَّامات المغربية، وإزاء ذلك اضْطُرَّ بعضُ قضاة الأحكام إلى القول بتضمين أصحاب الحمَّامات إبَّان عصر دولة الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م)، معتمدين في ذلك على ما نقله الفقيه يحيى بن عمر (ت٢٨٩هـ/٩٠١م) عن الإمام مالك (ت١٧٩هـ/٧٩٥م)، فقد جاء في ترجمة أبي علي الحسن بن نصر السُّوسي (ت٣٤١هـ/٩٥٢م) أنه "ولي أحكام سُوسَة لحَمَّاس بن مروان أيام زيادة الله (الأمير الأغلبي)، وكان لا يضمن صاحب الحمَّام بسُوسَة ما تلف عنده، وإلزامه الثمن، على مشهور النَّص، فكثر مشتكوه، فحكم عليه بالضمان، لما حدَّث به يحيى بن عمر، عن الحارث عن ابن وهب عن مالك في تضمين صاحب الحمَّام. قال: فما اشتكى إليه أحد بعد"[٢٧٩].

ويظهر أنَّه كان يحدث أنْ يدخل بعض اللصوص الحمَّام بدعوى استعماله، ثمَّ عندما ينتهي يترك ثيابه القديمة ويأخذ ثيابا جديدة مملوكة لبعض زبائن الحمَّام، أو يقوم بسرقة بعض النقود والمتعلقات من ثياب الزبائن. وإزاء ذلك كان بعضُ أصحاب الحمَّامات المغربية يوفرون من يحرسُ ثياب الزبائن مقابل مبلغ مالي يأخذه الحارث من الزبون. وفي هذه الحالة يسقط الضمانُ عن صاحب الحمَّام، فيكون على الحارس؛ لأنَّ متعلقات الزبائن صارت في حِرْزِه، كما أفتى بذلك الفقيه اللّخمي القيرواني (ت٤٧٨هـ/١٠٨٦م)[٢٨٠].

٥- أحوال الحمَّامات المغربية أثناء الكوارث الطبيعية:

كانت الحمَّامات المغربية تتعطَّل أثناء المجاعات الشديدة، بسبب الندرة الشديدة في المياه التي تمثِّل عاملًا رئيسا في عمل الحمَّام، بالإضافة إلى ندرة الحطب المستعمل في إشعال النار لتسخين المياه في الحمَّام. هذا فضلًا عن

أنَّ الناس في مثل هذه الأوقات الصعبة يكونون بعدين تماما عن التفكير في وسائل الترفيه، فشغلهم الشاغل هو الحصول على ما يقيمون به رمقَهم ويحفظهم من الموت، الأمر الذي ينتج عنه توقف عمل الحمَّامات أثناء تلك الأوقات. ولعلَّ خير دليل على ذلك ما حدث أثناء المجاعة الشديدة التي أصابت إفريقيَّة عام (٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، والتي تعطَّلت خلالها الحمَّامات بمدن في مختلف مدنها، كما أرَّخ لذلك ابن الأثير وابن عذاري[٢٨١].

ولا يستبعد الباحث أنَّ الحمَّامات الواقعة داخل الأسواق وبجوارها كانت تتأثر سلبيًّا أثناء الحرائق التي كانت تقع في هذه الأسواق، مثلما حدث لحمَّام الرَّحْبَة بمدينة فاس بالمغرب الأقصى سنة (٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، يقول ابن أبي زرع :"وفي هذه السنة وقع الحريق بأسواق فاس، احترقت أسواق باب السلسلة بأسرها إلى حمَّام الرحبة"[٢٨٢].

سادسًا: الحمَّامات المغربية وبعض القضايا الاجتماعيَّة:

على الرغم من أنَّ المغاربة اعتادوا دخول الحمَّامات في أوقات مختلفة؛ فإنَّ أنسب الأوقات لدخولها بالنسبة للنِّساء كان (أوَّل الليل)[٢٨٣]، في حين كان أنسب وقت لدخولها بالنسبة للرجال هو وقت السَّحَر (آخر الليل، قُبَيْلَ الفجر)[٢٨٤]، الأمر الذي كان يحدث ازدحامًا داخلها خلال هذه الأوقات، لدرجة أنَّ البعض قد يدخل الحمَّام فلا يجد مكانًا للجلوس فيه، فقد جاء في ترجمة زيد ابن بشر الأزدي (ت٢٤٢هـ/٨٥٦م) أنه "دخل يوما إلى الحمَّام سحرا، وفيه زحمة، فلم يجد مكانًا يجلس فيه"[٢٨٥].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الإضاءة في الحمَّامات خلال وقت السَّحر كانت تتم بواسطة القناديل التي توقد بالزيت[٢٨٦].

وعادةً ما كان قاصد الحمَّام يحملُ معه ما يحتاج إليه داخل الحمَّام، فقد روى المالكي أنَّ هاشم بن مسرور التَّميمي (ت٣٠٧هـ/٩١٩م) خرج ذات يوم

في السَّحر إلى الحمَّام، وعليه فَرْو سَمُّورٍ، وبيده سطلٌ ومِئْزَرٌ "[٢٨٧].

وكان من عادة النساء إذا خَرَجْنَ من الحمَّام أنْ يَحْجبن وجوههن عن أنظار الرجال بخمار[٢٨٨]، غيرَ أنَّ حرَّ الحمَّام ربما أجبرَ المرأة إلى الكشف عن وجهها أثناء خروجها من الحمَّام، مثلما فعلت ابنة الفقيه ابن أبي زيد القيرواني (ت٣٨٦هـ/٩٩٦مم) التي خرجت من الحمَّام، فكشفت عن وجهها لما نالها من حرِّه، ولم تظن أنَّ أحدا ينظر إليها، فلما رأت رجلًا سترت وجهها وانصرفت[٢٨٩].

وإذا حدث وتوفِّي رجلٌ وهو في الحمَّام، كان يُحْمَلُ إلى بيته؛ ليُجَهَّزَ للجنازة[٢٩٠].

وكثيرًا ما كان زبائن الحمَّام يتحدثون مع بعضهم البعض داخل الحمَّام حول أمور مختلفة[٢٩١]. وفي بعض الأحيان كان يقعَ بين بعضهم نزاعٌ، ربما نتج عنه وقوع إصابات وقتلى، كما أفادت بذلك فتوى للفقيه اللخمي القيرواني (ت٤٧٨هـ/١٠٨٦م)[٢٩٢].

هذا؛ وقد جاء على رأس القضايا الاجتماعيَّة المتعلِّقة بالحمَّامات قضيتان مهمتان، هما:

١- دخول النساء الحمَّام:

اشترط القضاة على أصحاب الحمَّامات ومديري إدارتها ألا يسمحوا للنساء بدخول الحمَّامات إلَّا في حالة المرض أو النِّفَاس خلال الولادة وبعدها، مثلما فعل القاضي القيرواني ابن طالب (٢٧٥هـ/٨٨٨م) الذي أمرَ مساعديه من أصحاب الأحكام بأنْ يغلقوا الحمَّام، ويسجنوا متقبِّلَه في حالة إذا ما سمح للنساء بدخول الحمَّام في غير حالات المرض أو النفاس، وذلك بعد توجيه الأمر إليه بألا يدخلَ إلَّا مريضة أو نفساء[٢٩٣].

وأمدتنا النوازل الفقهية بمادة تاريخيَّة طيبة عن هذه القضية حيث أظهرت

موقف الفقهاء المغاربة من دخول المرأة الحمَّام، الأمرُ الذي يعني أنَّ هذه القضية قد شغلت الناس، فقد سُئِلَ الفقيه يحيى بن عمر (ت٢٨٩هـ/٩٠١م) "عن صاحب الحمَّام اطِّلع عليه وقد أدخل نساءً ليس بهنَّ مرض ولا نفاس: هل يجب على الناظرين المسلمين أنْ يَهجموا عليهن ويُخْرِجَهُنَّ؟ فقال يحيى: لا يَهْجُمُ عليهن، ولكن يأمرهن أن يلبسن ثيابهنَّ ويستترن ثم يخرجن، ويقول لهنَّ قد علمتُنَّ نهي وكراهة العلماء لما فعلتنَّ، ثمَّ يؤدبهنَّ على قدر ما يرى"[٢٩٤].

وفي نازلة أخرى اعتبر يحيى بن عمر أنَّ اجتماع النساء داخل الحمَّامات من "مجامع المفسدة"[٢٩٥]، ومن هذا المنطلق أفتى بأن يأمرن برفق في البداية، فإن عُدْنَ نُهين ويغلظ عليهن، فإن رَكِبْنَ النهي فليهجم عليهن بالضرب والأدب[٢٩٦].

وعندما سُئِلَ الفقيه ابن أبي زيد القيرواني (ت٣٨٦هـ/١٩٩٦م) "عن دخول المرأة الحمَّام أجاب قائلًا: إنْ خلا لها فأرجو صحتَه، قِيلَ له: فلو سَتَرَت نفسَها كما تفعل مع الرجال فما وجه كراهته؟ فقال: لأنَّ المرأة عورة، ولا يحلُّ لها أنْ تبدي محاسنها للناس"[٢٩٧]. وعندما سُئِل الفقيه اللخمي القيرواني (ت٤٧٨هـ/١٠٨٦م) عن ذلك أفتى بأنه "لابأس بكراء الحمَّامات، ويجتمعون فيها"[٢٩٨].

وتجدرُ الإشارة إلى أنَّ قضية دخول المرأة الحمَّام قد شكَّلت منطلقًا لوقوع بعض الخلافات الزوجيَّة في بلاد المغرب[٢٩٩]، وهو ما تكشف عنه تلك النازلة التي سُئِلَ عنها الفقيه السيوري (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م)، والتي تخصُّ رجلًا حلف على زوجته بألَّا تدخلَ الحمَّام، وهي تزعمُ أنَّ لها فيه مصالح تُفْقَدُ في غيرِه من زوال وَسَخٍ وصلاح بدن ونحو ذلك، فأخبرهم بأنَّ "منعَه للحمَّام لها صواب، ويلزمه منعها"[٣٠٠].

وقد حاولت بعضُ النساء تفادي وقوع هذه الخلافات بالاتفاق مع صاحب

الحمَّام أو متقبله على إخلاء الحمام لها وقت استعماله لها مقابل قدر معلوم من المال يتمُّ الاتفاق عليه، وهنا حاول عدد من النساء إقناع أزواجهنَّ بدفع قيمة إخلاء الحمَّام لهنَّ في حالة الضرورة، في حين عرضَ البعض الآخر منهنَّ على أزواجهنَّ تحمُّل قيمة إخلاء الحمَّام من مالهنَّ الخاص مقابلَ السماح لهنَّ بدخول الحمَّام، وفي هذه الحالة أفتى بعضُ الفقهاء بأنَّ الزوجَ يجوز له أنْ يدفع قيمة إخلاء الحمَّام لزوجته إذا كان المبلغ المدفوع لا يجحفُ به. أمَّا إذا عزمت الزوجة على دفع قيمة إخلاء الحمَّام لها من مالها الخاص، فيلزمُ على الزوج السماحُ لها بدخول الحمَّام(٣٠١).

وغنيٌّ عن البيان أنَّ هذا التشدد في دخول المرأة الحمَّام مِنْ قِبَلِ الفقهاء أو الأزواج كان سببه ما يحدث داخل حمَّامات النساء من التعرِّي، مصداق ذلك تلك النازلة التي عُرِضَت على الفقيه السّيوري، وتضمَّنت قولَ السائل :"مع أنَّ نساء الوقت يدخلن فيه (يقصد الحمَّام) عُرَاة"(٣٠٢)، ولا شكَّ أنَّ ذلك يتيح للنساء داخل الحمَّام أنْ ينظرنَ إلى عورات بعضهنَّ(٣٠٣)، حتَّى وإنْ كانت إحداهنَّ "من أهل الهمَّة والدين تدخلُ مستورة إلَّا أنها ترى عورة غيرها"(٣٠٤).

وقد حاول الفقهاء ضبط هذه المسألة من الناحية الشرعيَّة فأفتوا بعدم جواز دخول النساء الحمَّام جملةً، ولا امرأة مع أخرى(٣٠٥)، كما أفتوا بعدم جواز دخول الرجل الحمَّام "مع أكثر من امرأة واحدة من نسائه أو إمائه"(٣٠٦)، في حين أجازوا ذلك إنْ دخله بصحبة "جارية واحدة"(٣٠٧).

وفي هذا السياق استفتى أمير إفريقية زيادة الله بن الأغلب (٢٠١-٢٢٣هـ/٨١٧-٨٣٧م) الفقيه أسد بن الفرات في دخوله بجواريه الحمَّام دون ساتر له، فأجاب بجواز ذلك؛ لأنهن ملكه، حيث قال :"ما بذلك بأس، هنَّ إماؤك، ونظرك إليهن وإلى فروجهنَّ حلال". غير أنَّ الفقيه القاضي أبا محرز أفتى بعدم جواز ذلك، حيث قال للأمير: "إن كان يحلُّ لك النظر إلى عوراتهنَّ

فلا يجوز لبعضهنَّ أنْ تنظرَ إلى عورة بعض"[٣٠٨]. وقد علق الفقيه البرزلي على ذلك بقوله :"فأغفل أسد إعمال كمال النظر في هذه المسألة الجزئية، فلم يدرك حالهن في ما بينهن، واعتبره أبو محرز فأصاب ... ولهذا قيل إنَّ أبا محرز كان أفقه نفسًا والآخر أحفظ، فجرى كل منهما على ما علم فيه، والأفقه أفضل لقوله عليه الصلاة والسلام: رُبَّ حامل فقه ليس بفقيه، رُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه"[٣٠٩].

(ب) دخول الرجال الحمَّام:

كان دخول الناس الحمَّامات عُرَاة لغسل الأبدان والشعور من مظاهر المجتمع المغربي الشائعة، بل وربما بالغ البعضُ في التعرِّي بإبداء العورات[٣١٠]، فقد عاين ذلك بعضُ قضاة القاضي ابن طالب (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م)، فكتب إليه "في حمَّام قد ضاقوا منه، ورأوا أنَّه مُنْكَرٌ عظيم"[٣١١].

وإزاء ذلك كان الفقيه القيرواني مُعَتِّب بن رَبَاح[٣١٢] (من أهل القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي) "إذا دخل الحمَّام عَصَب عينيه بعِصَابَةٍ، ويكون عنده من يقوده"[٣١٣]؛ لئلا يقع بصره على عورة رجل من الموجودين داخل الحمَّام[٣١٤]، بينما امتنع الفقيه القيرواني موسى بن معاوية الصُّمَادِحي[٣١٥] (ت٢٢٥هـ/٨٣٩م) عن دخول الحمَّامات، لدرجة أنه قال :" لي عشرون سنة ما دخلتُ الحمَّام"[٣١٦].

وبشكل عام أفتى الفقهاء بأنَّ الرجال لا حرج عليهم في دخول الحمَّام "إذا استتروا"[٣١٧]، كما حاول القضاة تقنين ذلك، فاشترطوا على صاحب الحمَّام ومتقبِّله ألَّا يسمح للرجال بدخول الحمَّام بدون مِئْزَر، فقد نَبَّهَ القاضي ابن طالب على قضاته بأن يأمروا متقبلي الحمَّامات ألا يسمحوا لرجل بدخول الحمَّام إلا بمئزر[٣١٨]، وأمرهم بأنْ يعاقبوا من يدخل الحمَّام بغير مئزر عقوبة

موجعة[٣١٩]، وألَّا "تُقْبَل شهادة رجل دخل الحمَّام بغير مئزرٍ حتى تعرف توبته"[٣٢٠]، وهو ما استمر بعد عصر الأغالبة، فقد أفتى الفقيه حبيب بن ربيع[٣٢١] (ت ٣٠٧هـ/٩١٩م) بأنَّ شهادة من دخل الحمَّام بلا مئزر من الرجال مجروحة[٣٢٢]. وإزاء ذلك أبدى البعضُ اهتمامًا بمسألة المئزر هذه، حيث كان الواحد منهم يحمله على يده وهو ذاهب إلى الحمَّام؛ كي يستتر به داخله[٣٢٣].

ومما سبق يتضح أنَّ القضاة والفقهاء قد وضعوا بعض الآداب العامة بالنسبة لدخول الحمَّامات، منها سَتْر العورة، ومنع النساء من دخول الحمَّامات دون مرض أو نفاس، في حين أجازوا لهنَّ دخوله إذا أخلت الواحدة منهنَّ الحمَّام لنفسها على أنْ يتحمَّل زوجُها نفقة ذلك أو تتحمله هي من مالها الخاص، بالإضافة إلى منع الرجل من دخول الحمَّام دون مِئزر، ومنعه من دخوله مع أكثر من امرأة واحدة من نسائه أو إمائه مع إباحة أنْ يدخله مع جارية واحدة فقط.

الخاتمة

ناقش البحث موضوع (**الحمَّامات المغربية من بداية عصر الدول المستقلة إلى نهاية عصر الموحدين ١٤٠-٦٦٨هـ/٧٥٧-١٢٦٩م**). وقد خرج في النهاية بعدد من النتائج، يمكن إجمالها في الآتي:

– لم تكن الحمَّامات المغربيَّة مرفقًا ثانويًّا داخل المدن المغربية إبَّان فترة الدراسة، بل كانت مظهرًا رئيسًا ومهمًّا من مظاهر العمران فيها.

– مثَّل الازدهار العمراني الذي نتج عن ظهور الدول المغربية المستقلة عاملًا رئيسًا من عوامل ازدهار الحمَّامات وزيادة أعدادها في بلاد المغرب، حيث نتج عن قيام هذه الدول بناءُ عددٍ من المدن الجديدة التي كانت الحمَّامات من مرافقها الرئيسة، بالإضافة إلى أنَّ هذه الدول لم تكتفِ ببناء الحمَّامات في المدن العواصم فقط، بل اهتمَّت ببنائها في معظم المدن التي قامت ببنائها.

– أظهر ولاةُ الأمر من الحكَّام ومَنْ اتَّصَل بهم من كبار رجال الدولة اهتمامًا ببناء الحمَّامات، وبخاصة أثناء فترات الدعة والرفاهية التي كانت تسمح لهم بالاهتمام ببناء المؤسسات العمرانية، ومنها الحمَّامات، وذلك من منطلق الأهميَّة التي كانت تمثلها باعتبارها مرافق حيويَّة ومهمة في تقديم الخدمة للناس بشكل عام وللتجَّار والغرباء بشكل خاص.

– كان للنشاط التجاري الذي شهده المغرب إبَّان فترة الدراسة دورٌ مهمٌ في توجيه مزيدٍ من الاهتمام نحو بناء الحمَّامات باعتبارها مرافق مهمَّة يحتاجها التجار، بما يسهم في الحفاظ عليهم وجذب المزيد منهم إلى ممارسة النشاط التجاري داخل المدن المغربية.

– أثبت البحث أنَّ وجود الحمَّامات في المدن المغربية كان مرتبطًا بشكل كبير بأماكن حيوية، يأتي على رأسها الأماكن القريبة من المساجد والفنادق، وفي الأسواق المركزية، وعند الأبواب الرئيسة لبعض المدن، وداخل بعض

المواني، وفي مدن الرِّباط، وكذلك الدِّمْنات التي كانت موجودة في عدد من المدن المغربية، والتي كانت تمثِّلُ مجتمعًا لأصحاب الأمراض المزمنة.

– تشابه الحمَّام المغربي الإسلامي إلى حدٍّ كبير من حيث مكوناته المعمارية مع الحمَّام الروماني، غيرَ أنَّه تخلَّى عن برك السِّبَاحة التي كانت تتوسَّط الحمَّام الروماني؛ لأنها لم تراعِ الآداب العامة والفصل بين الرجال والنساء.

– بصفة عامة كان الحمَّام عبارة عن بناء متكامل له باب رئيس من الخارج، وله غرفة تقع أمَامَه لتخزين الحطب والزَّبَل المستخدمَيْن في إشعال النار. أما من الداخل فكان يتكوَّن من ثلاث غرف، يتم الانتقال بينها عبر أبواب، تُعْرَفُ الأولى بالغرفة الباردة والثانية بالغرفة الدافئة والثالثة بالغرفة الساخنة أو البيت السُّخْن أو المَسْلَخ، وكانت تتميز بارتفاع درجة حرارتها وباحتوائها على حَوْضَيْن للمياه، أحدهما للماء البارد والثاني للماء الساخن.

– تنوعت الحمَّامات في بلاد المغرب إبَّان فترة الدراسة، فكان منها الحمَّامات الخاصة، والحمَّامات العامة المُبْرَزَة للناس، والحمَّامات المحبَّسة على بعض مدن الرِّباط وبعض المساجد.

– كانت الحمَّامات العامة في المغرب عبارة عن حمَّامات خاصة بالرجال، وأخرى خاصة بالنساء، وثالثة مشتركة بينهما على أنْ يكون للرجال ساعات محددة لدخولها وللنساء ساعات أخرى.

– اختلفت الحمَّامات المغربيَّة العامة من حيث المساحة، بحيث وجدت الحمَّامات الكبيرة والحمَّامات الصغيرة، غيرَ أنَّ حجم الحمَّام لم يكن مقياسًا لدرجة حُسْنِه وكفاءته، فربما كان الحمَّامُ الصغير أحسن من الكبير، من حيث جودة البناء وطبيعة الخِدْمَة المُقَدَّمَة للزبائن.

– اعتمدت معظم حمَّامات المغرب الأدنى وبعض حمَّامات المغرب الأوسط في الحصول على الماء اللازم لها على الآبار والعيون والمواجل. في حين اعتمدت معظم حمَّامات المغرب الأوسط والأقصى على مياه الوديان

والأنهار التي وجدت بكثرة في مُدُنِهما. أمَّا حمَّامات مدينة سَبْتَة بالمغرب الأقصى فكان ماؤها يجلب إليها من البحر المتوسط، وذلك عن طريق حمل المياه على الظهر.

– كانت المياه المستعملة في الحمَّامات يتمُّ تصريفها عبر قنوات حتى تصلَ إلى القناة الأم التي كانت تتجمَّع فيها المياه المستعملة في الدور والحمَّامات، وكان أصحاب الحمَّامات مُلْتَزِمين بالمشاركة مع أصحاب الدور في كنس هذه القنوات المشتركة بين بعض الدور والحمَّامات أو المشاركة في دفع تكاليف كَنْسِها وإصلاحها.

– شاع استعمال بعض المواد النباتية وغيرها لصناعة وصفات ودهون تستعمل داخل الحمَّامات بغرضِ إزالة الشعر الزائد من الجسم، وتعقيم الجلد وعلاجه من بعض الأمراض.

– كان هناك هيكل إداري للحمَّامات المغربية، تكوَّن من صاحب الحمَّام أو مُتَقَبِّل أجرته، والوقَّاد أو الشوَّاط، والخادم أو الحكَّاك أو الحمَّامي أو الطيَّاب، والحجَّام، وغلمان جمع الحطب والزبل وتخزينهما في حجرة التخزين الملحقة بالحمَّام، والحارس الذي كان يتولى حراسة متعلقات زبائن الحمَّام.

– كانت مسؤولية الإشراف على الحمَّامات المغربية تقع على عاتق الحاكم. كما كان لقضاة المدن سلطة الإشراف على الحمَّامات الموجودة فيها ومتابعة مدى التزام أصحابها ومكتريها بالضوابط المعمول بها، مع رفع الملاحظات حولها إلى القاضي العام؛ كي يصدر التعليمات حيالها، وكثيرًا ما كان القضاة يستشيرون الفقهاء المشهورين بالفتوى في بعض القضايا المتصلة بالحمَّامات قبل اتخاذ القرارات بشأنها.

– كان لبعض الحمَّامات المغربية صلةٌ ببعض الأحداث السياسيَّة المعاصرة لفترة الدراسة، مثل اندلاع بعض الثورات، وبعض أحداث القتل والانتقام، وقتل بعض الثوَّار، ومواراة بعض جثث القتلى في غرف تخزين الحطب والزَّبل الملحقة ببعض الحمَّامات.

– تسبَّبت الحروب والفتن في تخريب حمَّامات بعض المدن، كما حدث لحمَّامات مدينة رقَّادة الأغلبية سنة (٣٠٨هـ/٩٢٠م)، وحمَّامات مدينة البصرة الإدريسيَّة سنة (٣٦٨هـ/٩٧٨م)، وحمَّامات مدينة صبرة الفاطميَّة سنة (٤٤٠هـ/١٠٤٨م)، وحمَّامات مدينة زَوِيلة الفاطمية التي خُرِّبت ولم يبق لها أثر بسبب كثرة الفتن والحروب التي تعرَّضَت لها المدينة.

– كان زبائن الحمَّامات المجاورة للأبواب الرئيسة لبعض المدن يتعرضون –أحيانًا– للتعدِّي والضرب إذا تزامن وجودُهم في الحمَّام مع تعرُّض المدينة للهجوم العسكري.

– مثَّل بناءُ الحمَّامات مجالًا للاستثمار من قبل الدولة والأفراد على حدٍّ سواء؛ فالدولة كانت تبنيها وتنتفع من كرائها، والأشخاص كانوا يبنونها لتكونَ مشروعًا استثماريًّا يؤمِّن مستقبل أبنائهم.

– كان صاحب الحمَّام لا يَضْمَنُ ما تَلَفَ عنده من ثياب وأموال مع بداية عصر الدول المستقلَّة، فكثرت شكاوى مستعملي الحمَّامات، فاضطر الفقهاء إلى القول بتضمين أصحاب الحمَّامات؛ ولذا كان بعضُهم يوفِّر حارسًا لثياب الزبائن ومتعلقاتهم وأموالهم داخل الحمَّام.

– أثَّرت المجاعات الشديدة التي كانت تقع في بعض المدن في عمل الحمَّامات الموجودة بها تأثيرًا سلبيًّا، فقد كانت تتسبَّب في تعطُّلِها عن العمل بشكل كلِّي بسبب ندرة المياه والحطب، وتدهور أوضاع الناس المعيشية.

– كانت أنسب الأوقات لدخول النساء الحمَّامات في أول الليل، في حين كان أنسب وقت بالنسبة للرجال هو آخر الليل (في السحر)، ومن هنا كانت هذه الأوقات شديدة الازدحام، لدرجة أنَّ البعض كان يدخل الحمَّام خلالها فلا يجد مكانًا يجلس فيه.

– كان من عادة النساء –وبخاصة من انتمى منهن إلى بيوت العلم والفقه– أنْ يحجبْنَ وجوههنَّ من أنظار الرجال بخمار عند الخروج من الحمَّام، ولا يرفعونه إلَّا إذا تيقنَّ من عدم وجود رجال في الطريق.

– غالبًا ما كان الرجلُ يحمل معه ما يحتاجه داخل الحمَّام، وعلى رأس ذلك السَّطْل والمِئْزَر.

– كثيرًا ما كان يدور النقاش والحوار بين زبائن الحمَّام حول أمور مختلفة، وفي بعض الأحيان كان الشِّجار يقع بين بعض الزبائن، وربما وصلَ في بعض المرَّات إلى القتل.

– منع بعض الرجال زوجاتهم من دخول الحمَّامات بسبب ما كان يحدث داخلها من التعرِّي، الأمر الذي مثَّل –في بعض الأحيان– منطلقًا لوقوع بعض الخلافات الزوجيَّة. وقد حاولت بعض الزوجات تلاشي ذلك بإخلاء الحمَّام للاستعمال الخاص في وقت معيَّن، على أنْ يتحمَّل الزوج تكاليف ذلك أو تتحمَّله الزوجة من مالها الخاص، وقد وصل ذلك إلى الفقهاء فأفتوا بجواز ذلك.

– كان من الآداب العامة التي وضعها القضاة والفقهاء لتنظيم دخول الحمَّامات: عدم السماح للنساء بدخول الحمَّامات إلا في حالة المرض أو النِّفاس، وعدم السمَّاح للرجال بدخولها دون مئزر، وعدم السماح للرجل بدخول الحمَّام مع أكثر من امرأة من نسائه أو إمائه مع جواز دخوله صُحْبَةَ جارية واحدة فقط، وذلك من منطلق أنَّه يجوز له النظر إلى عورات نسائه أو إمائه، وهنَّ كذلك بالنسبة له، غير أنه لا يجوز لهنَّ النظر إلى عورات بعضهنَّ.

– كان التعرِّي داخل الحمَّامات سببًا في امتناع بعض الفقهاء من دخولها بشكل نهائي، في حين تحرَّى بعضُهم أنْ يقعَ بصرُه على عورة رجل آخر داخل الحمَّام بأنْ كان يَعْصُبُ عينيه بعِصَابَةٍ، ويوفِّرُ له من يقوده داخلَ الحمَّام.

الحواشي

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت)، ص ٧٢.

(٢) مسلم: صحيح مسلم، دار المعرفة، لبنان، ط٣، ٢٠١٠م، ص١٥٤.

(٣) ابن القاضي المكْنَاسي (ت١٠٢٥هـ): جِذْوَة الاقتباس في ذكر من حَلَّ من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣م، ج٢، ص ٤٦٥.

(٤) هو أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي، من قلعة بني حمَّاد بالمغرب الأوسط، وأصله من توزر، دخل سجلماسة وفاسًا، ثمَّ عاد إلى القلعة، وبها توفي سنة (٥١٣هـ/١١١٩م)، وكان من أهل العلم والفضل الذين رفضوا قرار السلطة المرابطية بإحراق كتب الغزالي، انظر ابن الزيات(ت ٦١٧هـ/١٢٢٠م): التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السَّبْتِي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٧م، ص ٩٥-٩٧؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م، ص ٣٣-٣٤.

(٥) ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف، ص ٩٩.

(٦) الدبّاغ (ت٦٩٦هـ): معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ج٢، ص ١٨٩.

(٧) ابن بشتغير (أحمد بن سعيد بن بشتغير، ت٥١٦هـ): نوازله، ت: د. قطب الريسوني، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ٣٨٨.

(٨) هو أحمد بن إبراهيم بن خالد المعروف بابن الجزَّار. يأتي على رأس أطباء المدرسة الطبية المغربية. وُلد في مدينة القيروان، في أسرة طبية خالصة؛ فأبوه إبراهيم كان طبيبًا، وعمُّه أبو بكر كان طبيبًا، انظر ترجمته عند ابن جلجل (أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي، ألفه سنة ٣٧٧هـ): تاريخ الأطباء والفلاسفة، ت: فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٨٨-٩١؛ عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مؤسسة، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج١، ص ٨٨؛ كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العرب، نقله إلى العربية: د. عبد الحليم النجار، مطبعة المعارف، ط٥، (د.ت)، ص ٢٩٦. وتجدر الإشارة إلى أنَّ ابن الجزار لم يؤلف فقط في الطب، بل ألَّفَ -أيضًا -في التاريخ كتابًا سمَّاه (مغازي إفريقية). وقد نقل عنه البكري بعض النصوص، انظر البَكْرِي (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م): المسالك والممالك، الجزء الثاني، ت: د. جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م،، ج ٢، ص ٢١٧.

(٩) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ص ٤٨٢. وهذه المقالة مفقودة الآن للآسف الشديد.

(١٠) ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م): مقدمة ابن خلدون، ت: د. علي عبد الواحد وافي، مكتبة الأسرة، ط ٢، ٢٠٠٦م، ج٢، ص ٨٢٥.

(١١) يؤرخ لبداية عصر الدول المستقلة في المغرب بهذا التاريخ الذي شهد قيام أول دولة مستقلة في المغرب، وهي دولة بني مدرار في سجلماسة، وذلك لأنَّ دويلة الخوارج الصفرية في طنجة بالمغرب الأقصى التي أسسها مَيْسَرَة المَدْغَرِي سنة (١٢٢هـ) والذي دعا لنفسه بالخلافة لم يكمل نضجها، ولم تتوفر لها المقومات الرئيسة للدولة المستقلة، فسرعان ما قضت عليها الخلافة الأموية. ومن هنا فإنَّ هذه الدويلة يُنْظر لها على أنها كانت مجرَّد ثورة قام بها البربر تحت ظل الخوارج ضدَّ التعسفات المالية التي قام بها بعض ولاة الأمويين في المغرب، انظر ابن عذاري المراكشي (ت٧١٢هـ/١٣١٣هـ): البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس، (الجزء الأول)، ت: ج. س. كولان و إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م، ص ٥٢-٥٩.

(١٢) نعيمة الحضري: الحمام المغربي تاريخ وتخطيط، مجلة بصمات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني المحمدية، ع٦، ٢٠١٥م، ص ١٠٥.

(١٣) خليل خلف الجبوري: معالم من الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس: الحمامات أنموذجًا، دورية كان التاريخية، ع٣٢، يونيو ٢٠١٦م، ص ١٦٢.

(١٤) وجد المسلمون في بلاد المغرب عند فتحهم لها حمَّامات تعود إلى العهود السابقة، وبخاصة في مدن (تلمسان وسبتة ووليلى)، انظر البَكْرِي: المسالك والممالك، ج٢، ص٢٨٦،٢٦٣، ٢٨٩، ٢٩٢؛

Robert Etienne: Le quartier Nord-Est de Volubilis, E. de Boccard, Paris, 1960,p. 100-101.

(١٥) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٧٤.

(١٦) البكري: مصدر سابق، ج٢، ص ١٩٩.

(١٧) المصدر السابق، ج٢، ص ٢١٠.

(١٨) المصدر السابق، ج٢، ص ٢٥٧.

(١٩) المصدر السابق، ج٢، ص ٢٩٣.

(٢٠) المصدر السابق، ج٢، ص ٢٥٧.

(٢١) مَقْدِيش (ت١٢٢٨هـ/١٨١٣م): نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، ت: علي الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م، ج١، ص ٧٧.

(٢٢) المسالك والممالك، ج٢، ص ٢٩٨، ٣٠٠.

(٢٣) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٤٨.

(٢٤) ابن خلدون: مصدر سابق، ج٢، ص٨٦٠،٨٢٥، ج٣، ص٩٢٦، ٩٣٠.

(٢٥) المصدر السابق، ج٢، ص ٧٨٠.

(٢٦) قامت هذه الدولة في المغرب الأدنى (إفريقيَّة) سنة (١٨٤هـ/٨٠٠م)، وهي تُنسب إلى إبراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي، وهي دولة سنيَّة استقلَّت عن الخلافة العباسيَّة استقلالًا شبه تام، واعتمدت على الحكم الوراثي حتَّى أسقطها الفاطميون الشيعة سنة (٢٩٦هـ/٩٠٩م). كان من أبرز أعمالها فتح جزيرة صِقِلية سنة (٢١٢هـ/٨٢٧هـ) على يدِ الفقيه القاضي أسد بن الفرات، انظر ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٩٢-١٢٥.

(٢٧) البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص ٢٠٠؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٢٠٧.

(٢٨) قامت هذه الدولة في المغرب الأوسط، وتنسب إلى مؤسِّسِها عبدِ الرحمن بن رستم بن بَهْرَام، وهي إحدى دول الخوارج التي اتخذت المذهب الإباضي مذهبًا رسميًّا لها. وكان على رأس الإنجازات الحضارية لهذه الدولة قيامها بإنعاش حركة التجارة في المغرب الأوسط وبلاد الصحراء بعدما فرضَ الأئمة الرستميون الأمن، فكان للتجار الإباضيين فضل كبير في نشر الإسلام في بلاد السودان وغيرها. وقد قضى الفاطميون الشيعة على هذه الدولة سنة (٢٩٦هـ/٩٠٩م). لتفاصيل أكثر انظر ابن الصغير المالكي (عاش في القرن ٣هـ/٩م): أخبار الأئمة الرستميين، ت: محمد ناصرو، وإبراهيم بحاز، بيروت، ١٩٨٦م.

(٢٩) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨٦؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٧.

(٣٠) الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية (٣-٤هـ/٩-١٠م)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٨م، ص ١١٠.

(٣١) المسالك والممالك، ج٢، ص ٢٩٣.

(٣٢) قامت دولة بني مدرار في مدينة سِجلماسة بالمغرب الأقصى سنة (١٤٠هـ/٧٥٧م)، وهي إحدى دول الخوارج، وقد اتخذت المذهب الصُّفْرِي مذهبًا رسميًّا لها. وكان اليسع بن المنتصر بن مِدْرار من أواخر أئمة تلك الدولة، وكان على علاقة طيبة بالعباسيين؛ ولذا فإنه حين استراب في عبيد الله المهدي وابنه أبي القاسم، حينما وصلا إلى «سِجِلْمَاسَّة»، ألقى القبض عليهما، وحبسهما في سجنه، حيث ظلّا في محبسِهما فيها إلى أن زحفَ إليه أبو عبد الله الشيعي (الدَّاعي)، واقتحم عليه «سِجِلْمَاسَّة» (سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م)، وأخرج عبيد الله المهدي وابنه أبا القاسم من محبسِهما، ثم سِيق اليسعُ ومن معه إلى المهدي الذي أمر بقتلهم جميعا، وبُويع المهدي بالخلافة في «سِجِلْمَاسَّة» ثم غادرها بعد أن ولى عليها عاملا من قِبله. انظر ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م): العبر وديوان المبتدأ والخبر، طبعة سلسلة الذخائر ١٥٨، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧م، ج٦، ١٣٠-١٣١.

(٣٣) المصدر السابق، ج٦، ص ١٣٠؛ محمود إسماعيل: الخوارج ببلاد المغرب حتى القرن الرابع الهجري، مكتبة الحرية الحديثة، جامعة عين شمس، ط٢، ١٩٨٩م، ص١١٧.

(٣٤) البكري: مصدر سابق، ج٢، ص ٣٣٣؛ ابن الزيات: التشوف، ص ٩٩. ويذكر

صاحب كتاب (الاستبصار) أنَّ سجلماسة مدينة محدثة بنيت سنة (١٤٠هـ/٧٥٧-٧٥٨م)، أسسها مِدرار بن عبد الله، انظر مجهول (مؤلف مغربي مجهول): الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د. م)، ص ٢٠١.

(٣٥) دولة الأدارسة دولة سنية علويَّة قامت في المغرب الأقصى، ثمَّ سيطرت على جزء من المغرب الأوسط، وقد استمرَّت قوَّة هذه الدولة حتى دبَّ النزاع والخلاف بين أبناء البيت الإدريسي، ثمَّ تمكَّن قائد الفاطميين (مَصَالَة بن حَبُوس) الحاكم المكناسي أن يثيرَ حربًا مع يحيى الرابع، فخرج يحيى مدافعا له، فهزمه مَصَالَة، وحاصره إلى أن صالحه على أخذ البيعة للشيعة، وزالت بذلك دولة الأدارسة سنة (٣١٣هـ/٩٢٥م) من المغرب الأقصى والأوسط، وبقيت لهم قلعة النسر في شمال المغرب، ثمَّ حدث صراع كبير على المغرب الأقصى بين الفاطميين وأمويى الأندلس، ظلَّ الأدارسة يكابدون ويلاتِه إلى أن قضى عليهم الأمويّون سنة (٣٧٥هـ/٩٨٥م) مسطرين بذلك نهاية أمر الأدارسة تماما في المغرب. انظر ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٨-٢٩، ١٥-٣٥، ٩٢-٩٥؛ حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة بالقاهرة، ط٢، ٢٠٠٤م، ص ١٢٠-١٢٢.

(٣٦) مؤلف مجهول: مصدر سابق، ص ١٨١؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٤٦.

(٣٧) قامت الدولة الفاطمية في المغرب بفضل جهود أبي عبد الله الصنعاني الشيعي الذي تعرَّف على جماعة من قبيلة كُتامة المغربية في موسم الحج، ثمَّ ذهب معهم إلى المغرب، ودعا إلى الفاطميين فيه. وقد حكم هذه الدولة في المغرب وقبل انتقالها إلى مصر أربع خلفاء، هم: المهدي الفاطمي (٢٩٧-٣٢٢هـ/٩١٠-٩٣٤م)، والقائم (٣٢٢-٣٣٤هـ/٩٣٤-٩٤٦م)، والمنصور (٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٦-٩٥٣م)، والمعز الفاطمي (٣٤١-٣٦٢هـ/٩٥٣-٩٧٢م)، انظر ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ٢٢١.

(٣٨) المصدر السابق، ج١، ص ٢١٧.

(٣٩) ابن خلدون: المقدمة، ج٢، ص ٧٨٠.

(٤٠) صورة الأرض، ص ٧٣.

(٤١) الإدريسي (ت٥٦٠هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م ، ج١، ص ٢٨١.

(٤٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٧٣-٧٤؛ الإدريسي: مصدر سابق، ج١، ص ٢٨؛ ابن حمَّاد الصنهاجي (ت٦٢٦هـ/١٢٣٠م): ملوك بني عبيد وسيرتهم، ت: جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤م، ص ٣٤؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج١، ص ٢٩٣.

(٤٣) عندما قرَّرَ الفاطميون ترك المغرب والرحيل إلى مصر جعلوا عليه بني زيري الصّنهاجيين خلفاءً لهم فيه، وفي أيام باديس بن المنصور خرجَ عليه عمُّه حمَّاد واقتطع

ممالك المغرب الأوسط لنفسه، وقد نشبت حروب بين الطرفين انتهت بعقد صلح بينهما سنة (٤٠٨هـ/١٠١٧م)، انقسمت على أثره الدولة الصّنْهَاجية إلى إمارة شرقية عاصمتها القَيْرَوَان، وإمارة غربية بالمغرب الأوسط عاصمتها قلعة بني حمَّاد. وقد استمرت دولة بني حمَّاد إلى أنْ أسقطها عبد المؤمن بن علي الموحدي سنة (٥٤٧هـ/١١٥٢م). انظر ابن خلدون: المقدمة، ج٢، ص ٧٠٧؛ حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٦٢؛ محمد حسن: التهيئة المائية بإفريقية في العصر الوسيط، فصل من الندوة الدولية الثالثة المنعقدة بالمكتبة الوطنية بتونس بعنوان "الماء والتعمير ببلاد المغرب في العهدين القديم والوسيط"، نوفمبر ٢٠٠٧م، أعدها للنشر أ. محمد حسن، تونس، ٢٠٠٩م، ص١٧١.

(44) De Beylié (G): La Kalaa des Beni-Hammad, une capitale berbère de l'Afrique du Nord au XIe siècle, Paris, 1909, p. 66.

(45) Golvin(L): Recherches archéologiques à la Qalà des Banû Hammâd, Paris : G.P.Maisonneuve et Larose, 1965, p. 62.

(٤٦) البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص ٣٥٠. وتامَدَلْت: مدينة بالسوس، وهي سهلية خصبة عليها سور من طوب وحجر، أسسها عبدالله بن إدريس على نهر أصله من جبل على عشرة أميال منها. كان لها أربعة أبواب، انظر البكري: مصدر سابق، ج٢، ص٣٥٠؛ مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص٢١٣.

(٤٧) البكري: مصدر سابق، ج٢، ص ٢٩٣-٢٩٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ١٤٣. والبصرة: مدينة بالمغرب الأقصى، أسسها الأمير محمد بن إدريس في شمال المغرب في أوائل القرن (الثالث الهجري/التاسع الميلادي)، وكانت تعرف ببصرة الذِبَّان لكثرة ألبانها، وتُعرَف أيضا ببصرة الكتَّان؛ لأنَّ أهلها كانوا يتبايعون، في بَدْءِ أمرها في أكثر تجاراتهم بالكتَّان، وتعرَف أيضًا بالحمراء؛ لأنها حمراء التربة. وقد ظلت المدينة قائمة ومزدهرة حتى تم تخريبها وهدمها على يد أبي الفتوح بُلُكِّين بن زيري خلال حملته العسكرية باتجاه مدينة سبتة سنة (٣٦٨هـ/٩٧٨م)، وذلك على أثر الصراع الفاطمي الأموي الذي نشب على أرض المغرب الأقصى، انظر الإصطخري (ت على الأرجح حوالي سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م): المسالك والممالك، الهيئة المصرية لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر (١١٩)، ٢٠٠٤م، ص ٣٤؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج١، ص ١٤٣؛ محمد علي دبور: مدينة البصرة بالمغرب الأقصى منذ إنشائها حتى هدمها سنة (٣٦٨هـ/٩٧٨م)، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ع٩١، ٢٠١٦م، ص ٦٧٧-٦٧٨.

(٤٨) كان الموحدون في بداية أمرهم طائفة دينية أسسها محمد بن تومرت السوسي الهَرْغِي

في مستهل القرن (السادس الهجري)، ثمَّ تحولت هذه الطائفة إلى دولة كبرى بفضل جهود الخليفة عبد المؤمن بن علي (٥٢٤-٥٥٨هـ/١١٣٠-١١٦٣م) الذي تمكَّن من إسقاط دولة المرابطين في المغرب الأقصى، ثمَّ السيطرة على المغرب الأوسط والأدنى، لتستمر هذه الدولة في حكم المغرب كله بالإضافة إلى الأندلس حتى سقوطها تمامًا سنة (٦٦٨هـ/١٢٦٩م)، انظر ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٨٦-١٨٨؛

Lévi provençal: Documents inédits d'histoire Almohade, librairie oriental, Paris, 1928, pp.56-57.

(٤٩) مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص ١٤٠. وسَلا: مِنْ مدن المغرب الأقصى التي تقع بالقرب من «مَرَّاكُش». سُمِّيت قديمًا بشالة، وتعود بدايات المدينة إلى العهد الموحدي، حيث شهدت المدينة نهضة حضارية كبيرة خلال هذا العهد، انظر الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٢٣٨-٢٣٩، وتابع ص ٢٣٦.

(٥٠) أحمد بلحاج آية وارهَام: جماليات الحمامات في الحضارة الإسلامية الفضاء والمتخيَّل (بحث في الفضاءات: التاريخية والمعمارية والفنية والجمالية والثقافية للحمامات، وفي متخيلاتها الشعرية والأسطورية والإيروتيكية والهُوامية)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٧م، ص ٦٦.

(٥١) يحيى بن عمر الأندلسي (ت٢٨٩هـ/٩٠١م): أحكام السوق، قدَّم له وحققه: د. محمود علي مكي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ص ٦٧.

(٥٢) ابن خلدون: المقدمة، ج٢، ص ٧٨٠، ٨٢٥.

(٥٣) مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص ١٨١.

(٥٤) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص ٢٨٤. وهذا الرقم يبدو عليه طابع المبالغة؛ لكنه -على أية حال- يعطي دلالة على كثرة عدد الحمَّامات في هذه المدينة خلال عصر بني زيري.

(٥٥) الأنيس المطرب، ص ٥٣-٥٤.

(٥٦) المصدر السابق، ص ١١١؛ وانظر ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٤٨.

(٥٧) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٤٧.

(٥٨) المصدر السابق، ص ١٤١؛ الجزنائي: زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ت: مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٧٦.

(٥٩) البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص ٢٩٨.

(٦٠) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٤٧.
(٦١) العمري (ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الجزء الرابع (الممالك الإسلامية في اليمن والمغرب والأندلس)، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠١م، ص ١١٤؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص ٥١.
(٦٢) الأنيس المطرب، ص ٤٨.
(٦٣) الزُهْري (ت في أواسط ق ٦هـ/١٢م): كتاب الجغرافية، ت: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت)، ص ١١٥-١١٦.
(٦٤) مَقْدِيش: نزهة الأنظار، ج١، ص٧٢.
(٦٥) ابن غازي: الرَّوض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٧٥. ويقصد بهذا العهد القرن العاشر الهجري؛ وانظر ابن زيدان (ت١٣٦٥هـ): إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٨م، ج١، ص ١٣٩.
(٦٦) من أسرة ملكية أسبانيَّة، أعلن إسلامه، وسمي بأبي زكريا يحيى بن غنصالة اللاجئ، ويُعرف باسم ابن أخت ألفنش (ألفونسو بن قرنادو الثالث ملك قشتالة ٦١٤-٦٥٠هـ/١٢١٧-١٢٥٢م)، وقد بحث عن المأوى، فخرج إلى مدينة مرَّاكش، ثمَّ استقرَّ بمكناسة، وأصبح قائد فرسان، يتصرَّف في ردع شرار البربر الرحالين، انظر الصديق بن عربي: طوائف وشخصيات مسيحية بالمغرب، مجلة تطوان، المغرب، ع١، ١٩٥٦م، ص ١٥٠؛ خوسى اليماني: الكتائب المسيحية في خدمة الملوك المغاربة، مجلة دعوة الحق، ع٥، المغرب، ١٩٧٨م، ص ٣٧. وتجدر الإشارة إلى أنَّ أهل الذمة مِمَّن دخلوا في الإسلام كانوا يُسْتخدمون في ردع شرار البرابر وقبض الجبايات؛ لكونهم لا ينتمون إلى عصبية قبلية يميلون لها في حالة إلزامهم بدفع الأموال، انظر الحكيم: الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ١٣٧.
(٦٧) ابن غازي: الروض الهتون، ص ٧٥-٧٦؛ ابن زيدان: مصدر سابق، ج١، ص١٣٩-١٤٠.
(٦٨) البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص ٢٧٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ١٧٦. ونكور: مدينة في المغرب الأقصى، وهي مدينة كبيرة بينها وبين البحر عشرة أميال وقيل خمسة، انظر الحميري: الروض المعطار، ت: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤م، ص ٥٧٦. وقد أجمعت المصادر على الإقرار بأنَّ سعيد بن إدريس بن صالح

(١٤٣-١٨٨هـ/٧٦٠-٨٠٤م) هو الذي أسسها واختطَّ عمرانها، انظر البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٢٧٥؛ مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص ١٣٦؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ١٧٦.

(٦٩) الحميري: الروض المعطار، ص ٥٧٧.

(٧٠) يعود تأسيس وتكوين الإمارات السَّليمانية في المغرب الأوسط في نهاية القرن (الثاني الهجري/الثامن الميلادي) إلى ذرية سليمان بن عبدالله الكامل بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وسليمان هذا أخو إدريس مؤسس دولة الأدارسة في المغرب الأقصى، فهما شقيقان، أبوهما عبدالله الكامل، وقد فرَّا من وقعة فَخ التي كانت في أيام الخليفة العباسي جعفر المنصور، ودخلا إلى المغرب، انظر ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، ت: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٨م، ص ٨٤؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج١، ص ٢١٠؛ مؤلف مجهول: مفاخر البربر، ت: عبدالقادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ٢٠٠٥، ص ١٩٩. وللوقوف على تفاصيل أكثر حول إمارات بني سليمان في المغرب الأوسط في جرازة وغيرها انظر بهلول سليمان: الدولة السليمانية والإمارات العلوية في المغرب الأوسط، طبعة وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ٢٠١١م، ص ١١١-١٢٠؛ كروم عيسى: إمارات بني سليمان في المغرب الأوسط بين الوجود والنسيان (١٧٢-٣٤٢هـ/٧٨٨-٩٥٣م)، دورية كان التاريخية، ع ٣٤، ديسمبر ٢٠١٦م، ص ١٣٧-١٤٧.

(٧١) جُرَاوَة: اسم لمدينة مأخوذ من اسم قبيلة جراوة التي كانت تقطن جبل أَوْرَاس، والتي كان لها باع كبير في مقاومة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب بقيادة زعيمتها الكاهنة. وتقع المدينة في الجهة الشمالية الشرقية من المغرب الأوسط على مقربة من وادي مَلْوِيَة، ومنها الشاعر عبدالله بن محمد الجراوي (ت٤١٥هـ) انظر ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨٨؛ ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م): أنموذج الزمان في شعراء القيروان، الدار التونسية للنشر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ٢١٦-٢١٩؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص ٥٣٤؛ ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، ت: فريد عبد العزيز الجندي، بيروت، ١٩٩٠مج٢، ص ١١٧.

(٧٢) ابن حوقل: مصدر سابق، ص ٨٨؛ البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص ٣٢٦؛ وقارن ابن عذاري (البيان المغرب، ج١، ص ١٩٦) الذي يؤرخ لبناء المدينة بسنة (٢٥٧هـ/٨٧٠م). ويظهر أنَّ البكري قد جانبه الصواب حينما ذكر في (المسالك والممالك،

ج٢، ص ٣٢٦) أنَّ مدينة جُراوة بها "خمسة حمَّامات، أحدها يُنسب إلى عمرو بن العاص"؛ فالثابت تاريخيًّا أنَّ جهود عمرو بن العاص في فتوح المغرب قد اقتصرت على فتح مدن (برقة- طرابلس- زويلة- ودَّان- سَبْرَت)، حيث لم يُكْتَب له فتح إفريقيَّة (المغرب الأدنى) بسبب عودته إلى مصر بعد رفض الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب طلبَه بالتقدُّم صوبَها لفتحها، وعليه؛ فإنَّ عمرو بن العاص لم تطأ قدماه المغرب الأوسط، فكيف يُنْسَبُ إليه بناء حمَّام من الحمَّامات الخمسة الموجودة في مدينة جُراوة به؟! للوقوف على تفاصيل حملة عمرو بن العاص لفتح المغرب انظر ابن عبد الحكم (ت٢٥٧هـ/٨٧١م): فتوح مصر والمغرب، ت: عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر (٤٩)، ص٢٣٠-٢٣٢.

(٧٣) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٥٤.

(٧٤) مدينة بالمغرب الأدنى، تقع بين مدينة سوسة ومدينة تونس، يقال إنه لا يدخلها صحيح إلا مرض، كثيرة الفواكه، ولها أسواق في كل شهر تُحَضّر لأيام معروفة، انظر ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٧٥؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ١، ص ٢٩٣.

(٧٥) المسالك والممالك، ج٢، ص ٢١٩، ٢٢٢.

(٧٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ٢١٩.

(٧٧) المصدر السابق، ج١، ص ٢٦١.

(٧٨) الإدريسي: مصدر سابق، ج١، ص ٢٨٤؛ مقديش: نزهة الأنظار، ج١، ص ١١٦.

(٧٩) المسالك والممالك، ص ١٨٩.

(٨٠) المصدر السابق، ص ١٩١.

(٨١) ابن حوقل: مصدر سابق، ص ٧٣.

(٨٢) المسالك والممالك، ج٢، ص ٢١٥.

(٨٣) نقلًا عن ابن أبي دينار (ت١٠٩٢هـ/١٦٨١م): المؤنس في أخبار إفريقية تونس، دار المسيرة، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م، ص ٢١.

(٨٤) المسالك والممالك، ج٢، ص ٢٣٥.

(٨٥) مجَّانة: مدينة بالمغرب الأوسط، تقع على الطريق من إفريقيَّة إلى مدينة تاهرت بالمغرب الأوسط، كانت تميَّز بكثرة الزعفران، ومعادن الحديد والفضة، ومنها كانت تُجلَبُ الحجارة للمطاحن بجميع المغرب، ولأهلها وادٍ غزير الماء يزرعون عليه، وبها أسواق صالحة، انظر ابن حوقل: مصدر سابق، ص ٨٤.

(٨٦) المسالك والممالك، ج٢، ص ٣٢٩.
(٨٧) المصدر السابق، ج٢، ص ٢٣٥.
(٨٨) المصدر السابق، ج٢، ص ٢٣٠.
(٨٩) المصدر السابق، ج٢، ص ٣٥٠.
(٩٠) المصدر السابق، ج٢، ص ٢٧٤؛ وانظر الحميري: الروض المعطار، ص ٥٧٧.
(٩١) صورة الأرض، ص ٧٤؛ وانظر الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص ٣٠٣.
(٩٢) المسالك والممالك، ص ١٧٩، ١٨٢، ١٨٩، ١٩١، ١٩٣، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢١٥، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥٠، ٢٥٧-٢٥٨، ٢٥٦، ٢٧٤، ٢٩٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٤٦، ٣٥٠.
(٩٣) أوليفيا ريمي كونستابل: إسكان الغريب في العالم المتوسطي، تعريب وتقديم: محمد الطاهري المنصوري، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠١٣م، ص ١٢١.
(٩٤) المسالك والممالك، ج٢، ص ٢٢٤.
(٩٥) المصدر السابق، ج٢، ص ٢٥٨.
(٩٦) صورة الأرض، ص ٨٩.
(٩٧) نزهة المشتاق، ج١، ص ٢٥١.
(٩٨) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨٩.
(٩٩) نفسه.
(١٠٠) قبيلة فارس المالكي: تاريخ العمارة عبر العصور، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١١م، ص ١٩٤.
(١٠١) شاكر مصطفى: المدن في الإسلام حتة العصر العثماني، الكويت، ١٩٨٨م، ج٢، ص ٦٥٥.
(١٠٢) التميمي (ت٦٠٣هـ/أو ٦٠٤هـ): المستفاد في مناقب العبَّاد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، دراسة وتحقيق: د. محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، ٢٠٠٢م، ج٢، ص ٧٣؛ موساوي عربية: الحمَّامات الجزائرية من العصر الإسلامي إلى نهاية العهد العثماني، دراسة آثارية معمارية، رسالة ماجستير غير منشورة بمعهد الآثار، جامعة الجزائر، ١٩٩١م، ص ٧٩.
(١٠٣) المَرَّاكُشِي (ت ٦٤٧هـ/٢٤٩م): وثائق المرابطين والموحدين، ت: د. حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط٢، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ٤٣٦؛ ابن عذاري: البيان

المغرب، قسم الموحدين، ت: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٥م، ص ٣٣٤؛ رينهارت دوزي: تكملة المعاجم العربية، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٧م، ج٨، ص ٦٢.

(١٠٤) جورج مارسيه: الفن الإسلامي، ترجمة: عبلة عبد الرازق، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٦م، ص ٢٢٦؛ موساوي عربية سليمة: الحمامات الجزائرية، ص ١١٤.

(١٠٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ٢٨٦.

(١٠٦) موساوي عربية سليمة: مرجع سابق، ص ٩٤.

(١٠٧) ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف، ص١٩٧..

(١٠٨) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٦٧؛ ابن الزيات: مصدر سابق، ص ١٩٦-١٩٧.

(١٠٩) ابن عذاري: مصدر سابق، ج١، ص١٧٧.

(١١٠) زكي محمد حسن: فنون الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨م، ص ١٢٠؛ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٨٠م، ص ٤٠٣.

(١١١) مانويل جوميث مورينو: الفن الإسلامي في إسبانيا من الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر المرابطين، ترجمة: د. السيد عبد العزيز سالم ود. لطفي عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د.ت)، ص ٢٠٠.

(١١٢) ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص ٧٠.

(١١٣) ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج١، ص ٧١.

(١١٤) المالكي (ت ٤٩٤هـ): رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ت: بشير البَكُوش، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م،ج٢، ص ٢١١؛ التميمي: المستفاد، ج٢، ص ٧٣.

(١١٥) مانويل جوميت مورينيو: الفن الإسلامي في إسبانيا، ص ٢٠٠.

(١١٦) المالكي: مصدر سابق، ج١، ص ٤٩٤.

(١١٧) المصدر السابق، ج٢، ص ١٥١.

(١١٨) نعيمة عبد المولد: المؤسسات المدنية والحربية في إفريقية في عهد الأغالبة، مجلة القلعة، كلية الآداب والعلوم بمسلاتة، جامعة المرقب، ع٨، ديسمبر ٢٠١٧م، ص ٩٠.

(١١٩) جمع رَبَض، ويُقصد به الأماكن الموجودة حول المدن والقابلة للبناء فيها كامتداد

عمراني لهذه المدن، انظر مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٤م، ص ٣٢٣، مادة (رَبَضَ).

(١٢٠) المسالك والممالك، ص ٢٠٢-٢٠٣.

(١٢١) نزهة المشتاق، ج١، ص ٢٨٣، وانظر مقديش: نزهة الأنظار، ج١، ص ١١٤.

(١٢٢) المسالك والممالك، ج٢، ص ٢٤٥؛ رشيد بورويبة: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٧٧م، ص ١٥٦.

(١٢٣) المسالك والممالك، ج٢، ص ٣٢٨.

(١٢٤) المصدر السابق، ج٢، ص ٢٨٥.

(١٢٥) الأنيس المطرب، ص ٥٣-٥٤.

(١٢٦) سليم زاوية: أرباض المدن العربية الإسلامية القديمة: دلالات عمرانية وسوسيو ثقافية؛ بعض مدن المغرب الأوسط أنموذجًا، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، الجزائر، مج ٣٠، ع٤، ديسمبر ٢٠١٩م، ص ٧٥.

(١٢٧) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٢٧،٤٧؛ البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص ٢٠٠، ٣٤٦؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص ٢٤٤؛ مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص ١١٢؛ مقديش: مصدر سابق، ج١، ص ٧٧،٨٠، ١٠٠.

(١٢٨) أوليفيا ريمي كونستابل: إسكان الغريب، ص ١٢٢.

(١٢٩) يحيى بن عمر الأندلسي: أحكام السوق، ص ٧٨.

(١٣٠) مؤلف مجهول: مصدر سابق، ص ١١٠.

(١٣١) ابن حوقل: مصدر سابق، ص ٧٢.

(١٣٢) مؤلف مجهول: مصدر سابق، ص ١١٠.

(١٣٣) المصدر السابق، ص ١٤٤.

(١٣٤) المصدر السابق، ص ١١٢.

(١٣٥) هو دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية المغراوي، ولي مدينة فاس وأحوازها بعد موت أبيه سنة (٤٤٠هـ/١٠٤٨م)، فلم يشتغل من يوم ولي إلا بالبناء والتعمير، إلى أن توفي سنة (٤٥٢هـ/١٠٦٠م)، انظر ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص ١٩٤.

(١٣٦) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١١١؛ ابن القاضي: مصدر سابق، ج١، ص ١٩٤؛ الجزنائي: زهرة الآس، ص ٧٥-٧٦.

(١٣٧) تتكون القيسارية من فناء واسع، تحيط به أروقة مسقوفة، تقام فيها الحوانيت

والمخازن، وتعلوها منازل الغرباء من التجار، انظر أحمد الطوخي: القيساريات الإسلاميَّة في مصر والمغرب والأندلس، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ع٢٨، ١٩٨١م، ص ٦٧؛ بصديق عبد الكريم: البيوع والمعاملات النجارية في المغرب الأوسط وأثرها على المجتمع ما بين القرنين (٦-٩هـ/١٢-١٥م)، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلاميَّة، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠١٨م، ص ٨٤.

(١٣٨) مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص ١٤٠.

(١٣٩) البرزلي (ت ٨٤١هـ/١٤٣٨م): جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتِين والحكام المعروف بفتاوى البرزلي، تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٤، ص ٤٣٤.

(١٤٠) المسالك والممالك، ج٢، ص ٢١٠.

(١٤١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٧٥.

(١٤٢) البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص ٢٣٠، ٢٥٩.

(١٤٣) كان عدد المصابين بالإعاقة والأمراض المزمنة في المغرب كبيرًا، فكان لهم مجتمع خاص بهم يُعرَفُ بالدِّمْنَة أو دار الجُذَمَاء، وهو عبارة عن بيمارستان أو مستشفى للأمراض المعضلة التي يطول علاجها، والتي يخشى منها تسرُّب العدوى إلى السكان، وكانت الدِّمْنَة تضم عددًا كبيرًا من أهل البلاء ذوي الضُّرِّ والإعاقة والأمراض المزمنة كالجُذَام وغيره. وقد انتشرت هذه الدِّمْنَات في معظم المدن خلال عصر الأغالبة، ثمَّ وجدت بعد ذلك في مدن المغربين الأوسط والأقصى، انظر ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف، ص ٣٤٨؛ الدبّاغ: معالم الإيمان، ج٢، ص ١٤٧؛ حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، مكتبة المنار، تونس، ط٢، ١٩٧٢م، ج١، ص ٢٧٣- ٢٩٤.

(١٤٤) حسن حسني عبد الوهاب: مرجع سابق، ج١، ص ٢٧٦.

(١٤٥) أوليفيا ريمي كونستابل: إسكان الغريب في العالم المتوسطي، ص ١٢٢.

(١٤٦) ابن الأبَّار (ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م): الحلة السِّيَرَاء، دار المعارف، القاهرة، ت: حسين مؤمن، ط٢، ١٩٨٥م، ج١، ص ٥٢.

(١٤٧) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ١٧٨، ٢١٦؛ حسن حسني: مرجع سابق، ج١، ص ٢٦٧.

(١٤٨) القاضي النعمان (ت ٣٦٣هـ/٩٧٣م): المجالس والمسايرات، ت: الحبيب الفقي، وإبراهيم شَبّوح، ومحمد اليغلاوي، دار المنتظر، لبنان، ١٩٩٦م، ص ٢١٠؛ البكري:

المسالك والممالك، ج٢، ص ٢٠٢.
(١٤٩) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ٣٠٤.
(١٥٠) التجاني: رحلة التجاني، قدّم لها: أ.حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا– تونس، ١٩٨١م، ص ٢٣٧–٢٣٨.
(١٥١) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص ٢٨٤.
(١٥٢) البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص ٢١٠؛ مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص ١١٠.
(١٥٣) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٤٨.
(١٥٤) يحيى بن عمر: أحكام السوق، ص ٦٧.
(١٥٥) الدباغ: معالم الإيمان، ج٣، ص ١٤٢؛ ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص٦٧–٦٨؛ البرزلي: جامع الأحكام، ج٤، ص ٢٤٣.
(١٥٦) ابن الوزان الزياتي: وصف إفريقيا، ترجمة: د. عبد الرحمن حميدة، طبعة مكتبة الأسرة، ٢٠٠٥م، ص ٢٣٥.
(١٥٧) هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد السِّبَائي القيرواني، سمع من أبي جعفر بن نصر وأبي جعفر القصري، وكان كثير الكرامات مجاب الدعوة؛ ولذا كان القابسي وابن أبي زيد يعظمانه ويرجعان إليه. توفي سنة (٣٥٦هـ/٩٦٦م)، انظر ابن مخلوف (ت١٣٦٠هـ): شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ج١، ص ١٤٠.
(١٥٨) عِياض (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبطه وصححه: محمد سالم هاشم، تحقيق: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ج٢، ص ٧٠؛ الدباغ: مصدر سابق، ج٣، ص ٦٩.
(١٥٩) التجاني: مصدر سابق، ص ٢٣٨.
(١٦٠) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ١٠٣.
(١٦١) التجاني: مصدر سابق، ص ١٢٧.
(١٦٢) المصدر السابق، ص ٢٣٧.
(١٦٣) المصدر السابق، ص ٢٣٨.
(١٦٤) نفسه.
(١٦٥) الزُّعَاق من الماء: المرُّ الغليظ الذي لا يُطَاق شربه، انظر المعجم الوسيط، ص٣٩٥، مادة (زَعَقَ).

(١٦٦) المسالك والممالك، ج٢، ص ٣٣٣؛ وانظر أيضًا محمد بركات البيلي: مدينة سجلماسة ودورها في تجارة الذهب مع السودان في العصر الإسلامي، مجلة المؤرخ المصري، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ع٣، يناير ١٩٨٩م، ص ٧٢.
(١٦٧) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص ١٨٩.
(١٦٨) اليعقوبي (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م): كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)، ص ١٠٧.
(١٦٩) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص ٢٨٤، ٣٠٣. والموجل: أحواض للمياه واسعة وعميقة تشبه الفسيقات، انظر حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ١١٠.
(١٧٠) مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص ١١٠.
(١٧١) المصدر السابق، ص ١١٢-١١٣؛ التجاني: رحلة التجاني، ص ٨٧-٨٨.
(١٧٢) التجاني: مصدر سابق، ص ١٣٦؛ البرزلي: جامع الأحكام، ج٤، ص ٤٣٢.
(١٧٣) حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة بإفريقية، ج١، ص ٢٧٦.
(١٧٤) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٧٤؛ الإدريسي: مصدر سابق، ج١، ص ٣٠٣.
(١٧٥) المسالك والممالك، ج٢، ص ٢٣٥.
(١٧٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ١٩٦.
(١٧٧) البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص ٢٥١-٢٥٢؛ مقديش: نزهة الأنظار، ج١، ص ١٠٠.
(١٧٨) مقديش: مصدر سابق، ج١، ص ٧٧.
(١٧٩) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٣٣؛ ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس،ج١، ٤٣؛ رولى رفعت أبو خاطر: الحمامات التقليدية ضمن النسيج العمراني للمدينة الإسلامية، دراسة مقارنة في عدة مدن متوسطية، مجلة إنسانيات الصادرة عن مركز أبحاث الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية في الجزائر، مج١٨، ع٦٣-٦٤، ٣٠ يونيو/ خيزران ٢٠١٤م، ص ٧٣-٧٤.
(١٨٠) ابن عذاري: مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٢؛ وانظر أيضًا ابن القاضي: جذوة الاقتباس،ج١، ١٩٠. والمقصود بالبحر هنا هو البحر المتوسط (بحر الروم)، انظر مؤلف مجهول: مصدر سابق، ص ١٣٧؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٢.
(١٨١) المسالك والممالك، ج٢، ص ٢٨٥.
(١٨٢) البرزلي: جامع الأحكام، ج٤، ص ١٢٢.

(١٨٣) البرزلي: جامع الأحكام، ج٤، ص ١٦٤-١٦٥.
(١٨٤) ابن الجزار القيرواني (ت٣٦٩هـ/٩٧٩م): طب الفقراء والمساكين، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ١٥٣؛ ابن أبي زيد القيرواني: كتاب الجامع من السنن والآداب والمغازي والتاريخ، ت: محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٢٢١.
(١٨٥) المالكي: رياض النفوس، ج١، ص ٣٨٠.
(١٨٦) ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ): زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٨م، ج٤، ص ٣٦٧.
(١٨٧) ابن الجزار القيرواني: مصدر سابق، ص ١٦٢.
(١٨٨) المصدر السابق، ص ١٥٥.
(١٨٩) المصدر السابق، ص ١٥٦.
(١٩٠) نفسه.
(١٩١) المصدر السابق، ص ١٥٨.
(١٩٢) يحيى بن عمر: أحكام السوق، ص ٦٧؛ المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص ٤٣٧؛ ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج٢، ص ٤٦٥.
(١٩٣) ابن عبدون (ت في النصف الأول من القرن ٦هـ/١٢م): رسالة في القضاء والحسبة، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، نشر: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٥٥م، ص ٣١.
(١٩٤) يحيى بن عمر: مصدر سابق، ص ٦١.
(١٩٥) عبد السلام بنسودة: حول أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، مجلة دعوة الحق، العدد (١،٢)، يناير ١٩٧١م، ص ١١٧.
(١٩٦) المالكي: رياض النفوس، ج٢، ص ٢١١-٢١٢.
(١٩٧) ابن القاضي: مصدر سابق، ج١، ص١٨٨.
(١٩٨) البرزلي: جامع الأجكام، ج٤، ص ٢٠٠.
(١٩٩) ابن غازي: الروض الهتون، ص٧٧.
(٢٠٠) ابن القاضي: مصدر سابق، ج١، ص١٨٨؛ التنبكتي: نَيْل الابتهاج بتطريز الدِّيباج، ت: د. علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٤م، ج١، ص ٣٤٨.
(٢٠١) القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، ص ٢١٠؛ ابن الزيات: التشوف إلى رجال

التصوف، ص ٢٠٣.
(٢٠٢) ابن الوزان: وصف إفريقيا، ص ٢٣٥.
(٢٠٣) البرزلي: جامع الأحكام، ج٤، ص ٢٠٠.
(٢٠٤) ابن الأحمر (ت٨٠٧هـ): بيوتات فاس الكبرا، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٢م، ص ٢٥.
(٢٠٥) ابن عبدون: رسالة في القضاء والحسبة. ص ٤٨.
(٢٠٦) التشوف إلى رجال التصوف، ص ١٧٠-١٧١؛ التنبكتي: نيل الابتهاج، ج١، ص٣٤٨.
(٢٠٧) السقطي: في آداب الحسبة، تحقيق ومراجعة: د. حسين الزَّيْن، مؤسسة دار الفكر، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٨٣.
(٢٠٨) ابن عبدون: مصدر سابق، ص ٤٨.
(٢٠٩) المالكي: رياض النفوس، ج١، ص ٣٨٠؛ ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ): زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٨م، ج٤، ص ٣٦٧.
(٢١٠) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٧٠؛ ابن الوزان: وصف إفريقيا، ص ٢٣٥.
(٢١١) ابن رحّال (أبو الحسن بن رحال المَعْداني، ت ١١٤٠هـ/١٧٢٨م): كشف القناع عن تضمين الصنّاع، دراسة وتحقيق: محمد أبو الأجفان، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٦م، ص ٩٩، فتوى للفقيه اللخمي القيرواني (ت٤٧٨هـ/١٠٨٦م). وهذا يذكرنا بما هو موجود الآن في العديد من المؤسسات من وجود شخصٍ يتسلَّم متعلقات الناس عند دخولهم المؤسسة ويسلمها لهم عند خروجهم.
(٢١٢) أصله من مدينة تادلا، سكن فاس، وهو من أهل القرن (السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)، أخذ عن عدد من العلماء، منهم الفقيه أبي الحسن بن حِرْزِهم (ت٥٥٩هـ/١١٦٣م)، وغيره، انظر ابن الزيات: مصدر سابق، ص ١٩٦؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص ٣٨٧.
(٢١٣) ابن الزيات: مصدر سابق، ص ١٩٦-١٩٧.
(٢١٤) يحيى بن عمر: أحكام السوق، ص ٦٧.
(٢١٥) البرزلي: مصدر سابق، ج٣، ص ٦٦١، ج٤، ص ٤٣٤.
(٢١٦) المصدر السابق، ج٤، ص ٣٦١، ٣٦٥، ٣٨٨؛ الوَنْشَرِيسي (ت ٩١٤هـ): المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، خرّجه: مجموعة من

العلماء بإشراف د/ محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج٢، ص ٤٩٩.

(٢١٧) الدباغ: معالم الإيمان، ج٣، ص ١١٧؛ البرزلي: جامع الأحكام، ج٤، ص ٣٦١.

(٢١٨) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٦٧-٦٨. وتجدر الإشارة إلى أنَّ هذه العليَّة كان عليها دفف حمر صنعها ابن رقية للعلية، فعندما هدمت العلية بقيت الدفف عند ورثته، فلم يروا لها أحسن من تصريفها في جامع القرويين المكرم، فوهبوها له عن طيب نفس. وكان في هذه الدفف صنعة مكتوبة فيها اسم ابن رقية واسم صانعها الذي عملها، وفي آخرها: وكان عملها في شهر رجب سنة ثمان وسبعين وخمسمائة. وقد ركبت هذه الدفف على باب القبلة بجامع القرويين في سنة (٦١٠هـ/١٢١٣م)، انظر السابق، ص٦٨.

(٢١٩) الونشريسي: المعيار المعرب، ج٨، ص ١١٥.

(٢٢٠) عياض وولده: مذاهب الحكَّام في نوازل الأحكام، تقديم وتحقيق وتعليق: د. محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٧م، ص ٩١؛ المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص ٤٣٧.

(٢٢١) كان يُطْلَقُ على الواحد منهم صاحب الأحكام، انظر القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج٢، ص ٦٠.

(٢٢٢) يحيى بن عمر: أحكام السوق، ص ٦٧؛ وانظر البرزلي: جامع الأحكام، ج٣، ص ٦٦١.

(٢٢٣) عياض وولده: مصدر سابق، ص ١٧٤-١٧٥.

(٢٢٤) هو منصور بن أبي فانوس بن مسلم بن عبدون بن أبي فانوس الزَرْهُوني الفاسي، كان من كبار الفقهاء والمفتيين والمشاورين بمدينة فاس، توفي بفاس سنة (٥٥٦هـ/١١٦٠م)، انظر ابن الآبار: المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص ١٩٥.

(٢٢٥) عياض وولده: مصدر سابق، ص ٩١.

(٢٢٦) يحيى بن عمر: مصدر سابق، ص ٦٧.

(٢٢٧) المصدر السابق، ص ٨٥.

(٢٢٨) يغلب على الظن أنَّ ذلك كان يحدث خلال الفترات التي تكون فيه المدينة تابعة من الناحية السياسية لحكَّام الأندلس من الأمويين، انظر الونشريسي: مصدر سابق، ج٨، ص ١١٥.

(٢٢٩) عياض وولده: مذاهب الحكَّام في نوازل الأحكام، ص ١٧٤-١٧٥.
(٢٣٠) المصدر السابق، ص ١٧٥.
(٢٣١) البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص ٣٠٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٢١١-٢١٢؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٧٧-٧٨. ويدل هذا الخبر على أنَّ دخول الحمَّامات المغربية لم يقتصر على المسلمين فقط، بل كان أهل الذمة يدخلونها أيضًا، وربما وجدت حمَّامات خاصة بهم.
(٢٣٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٧٧.
(٢٣٣) المصدر السابق، ج١، ١٧٨.
(٢٣٤) هو أبو القاسم بن عمر بن إبراهيم الفزاري، نسبة إلى (فزارة بن ذبيان). من أهل القيروان، وكان شاعرًا لأبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي إبَّان ثورته ضدَّ الفاطميين، وله شعر في هجاء الفاطميين، وقد جمع شعره الأستاذ محمد البعلاوي في بحث بعنوان (شعراء إفريقيون معاصرون للدولة الفاطمية)، منشور بمجلة حوليات الجامعة التونسية، ع١٠، سنة ١٩٧٣م، ص ١١٩-١٤١. وترجم له بروكلمان في تاريخ الأدب العربي، ج٢، ص ١٠٤.
(٢٣٥) ذكر المالكي في (رياض النفوس، ج٢، ص ٤٩٠-٤٩٤) سبعة وستين بيتًا منها، ونشرها محمد البعلاوي في بحثه (شعراء إفريقيون معاصرون للدولة الفاطمية، ص ١٢٢-١٢٤.
(٢٣٦) من الخوارج، وهو صاحب أخطر ثورة ضدَّ الفاطميين في المغرب، بدأها سنة (٣١٦هـ/٩٢٨م)، غيرَ أنها فشلت في النهاية بسبب الخلاف الذي دبَّ بين أفرادها، فقُبِضَ عليه، وتوفي بعد ثلاثة أشهر متأثرًا بجراحِه، وذلك في شهر المحرَّم سنة (٣٣٦هـ/٩٤٧م). للوقوف على تفاصيلها انظر المالكي: مصدر سابق، ج١، ص ٢١٦-٢١٩.
(٢٣٧) المصدر السابق، ج٢، ص ٤٩٠، ٤٩٤؛ الدباغ: معالم الإيمان، ج٣، ص ٧٤.
(٢٣٨) التجاني: رحلة التجاني، ص ٧٠.
(٢٣٩) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٣٤.
(٢٤٠) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ٢٠٦- ٢٠٧.
(٢٤١) البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص ٢٩٣-٢٩٤؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج١، ص ٢٣١-٢٣٢؛ الصديق بن العربي: كتاب المغرب، دار الثقافة، المغرب، ط٣، ١٩٨٤م، ص ٨٦. وجدير بالذكر أنَّ الفاطميين كانوا قد انتقلوا من المغرب إلى مصر سنة (٣٦٢هـ) بعدما جعلوا على حكم المغرب بني زيري الصنهاجيين يحكمونه باسمهم.

(٢٤٢) نزهة المشتاق، ج١، ص ٢٨٤.
(٢٤٣) المصدر السابق، ج١، ص ٢٩٧؛ وانظر ابن حمَّاد الصنهاجي: أخبار ملوك بني عبيد، ص ٣٤.
(٢٤٤) التجاني: رحلة التجاني، ص ٣٢٤- ٣٢٥.
(٢٤٥) الأنيس المطرب، ص١٤٣.
(٢٤٦) ابن غازي: الروض الهتون، ص ٥٨، ٧٣.
(٢٤٧) البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص ٢٥٩.
(٢٤٨) كان عبد المؤمن بن علي لما دخل وهران، انصرف منها بعد ذلك إلى تلمسان، فملكها ودخلها عَنْوة، وقتل أهلها، وسبى حريمها، ودخل كل واحد من الموحدين من الموضع الذي يليه، فأُخِذَ منها من الأموال ما لا يُحصى انظر مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٩م، ص ١٣٥؛ ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرا، ص ٣٣؛ حميد الحداد: السلطة والعنف في الغرب الإسلامي، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١١م، ص ٢٢٨.
(٢٤٩) المستفاد، ج٢، ص ٧٣؛ البرزلي: جامع الأحكام، ج٤، ص ٤٤٩. وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ الموحدين لم يتورعوا عن اللجوء إلى العنف الشديد والوسائل المميتة للناس في سبيل السيطرة على المدن التي كانت تخضع للمرابطين، ويكفينا هنا ما فعله عبد المؤمن بن علي مع مدينة فاس التي حاصرها حصارا شديدا سنة (٥٤٠هـ/١١٤٦م)، وقطع عنها النهر الداخل إليها بالألواح والخشب والبناء حتى انحصر الماء فوقها، ثم أطلق الماء فجأة فهبط على المدينة دفعة واحدة، فهدم سورها وهدم من دورها ما يزيد على ألفي دار، وهلك به خلق كثير، وكاد الماء أن يأتي على أكثرها، فدخلها عبد المؤمن بتلك الوسيلة، انظر ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٨٩.
(٢٥٠) المقدسي (ت ٣٩٠هـ/٩٩٩م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، لَيْدن، ط٢، ١٩٠٩م، ص ٢٢٥؛ أوليفيا ريمي كونستابل: إسكان الغريب في العالم المتوسطي، ص ١١٩.
(٢٥١) المازري (ت٥٣٠هـ/١١٣٦م): فتاوى المازري، تقديم وجمع وتحقيق: د. الطاهر المعموري، الدار التونسية للنشر، ١٩٩٤م، ص ٢٧٧.
(٢٥٢) البرزلي: جامع الأحكام، ج٤، ص ٢٩٥. وتجدر الإشارة إلى أنَّ ذلك التصرف من قِبَل عمَّال الزيريين لم يقتصر على الحمامات وحدها، بل طال أيضًا الفنادق والحوانيت

بمختلف أنواعها، فقد حدث في سنة (٤٠٥هـ/١٠١٤م) أَنْ أجبرَ المنصور الزيري (٣٨٦-٤٠٦هـ/٩٩٦-١٠١٥م) صناع مدينة القَيْرَوَان وتجارها على الانتقال إلى أسواق مدينة المَنْصُورية؛ للعمل فيها بالكراء الذي رفع قيمتَه بشكل مبالغ فيه، يؤكد ذلك ابن عذاري في تأريخه لأحداث تلك السنة، حيث يقول :"وفيها: نادى مُنادٍ في القيروان بانتقال من كان يسكن فيها من الصّنهاجيِّين إلى المنصورية، ثمَّ نادى مُنادٍ آخر بعد ذلك بإغلاق الحوانيت بالقيروان وفنادقها، فأغلقت، ولم يبقَ بها إلا بعضُ حوانيت الأحباس. وبلغ كراء حانوت بالمنصورية مئتي درهم لبيع الكتَّان، وما سُمِعَ بذلك في كراء حانوت بالقيروان". البيان المغرب، ج١، ص ٢٨٤-٢٨٥.

(٢٥٣) رولى رفعت أبو خاطر: الحمامات التقليدية ضمن النسيج العمراني للمدينة الإسلامية، ص ٧٣.

(٢٥٤) المالكي: رياض النفوس، ج٢، ص ١٤٩. ويفيد هذا الخبر أنَّ تكلفة بناء حمَّام كامل كانت تصل في القرن (الرابع الهجري/العاشر الميلادي) إلى ألف دينار.

(٢٥٥) عياض وولده: مذاهب الحكام، ص ٢٥٦.

(٢٥٦) التجاني: رحلة التجاني، ص ٢٣٨.

(٢٥٧) البرزلي: جامع الأحكام، ج٤، ص ٢٩٥.

(٢٥٨) ابن بشتغير: نوازله، ص ٣٨٨؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج٨، ص ١١٥.

(٢٥٩) الونشريسي: مصدر سابق، ج٨، ص ١١٢.

(٢٦٠) ابن بشتغير: مصدر سابق، ص ٣٢٣؛ البرزلي: مصدر سابق، ج٤، ص ٥٢٢.

(٢٦١) الونشريسي: مصدر سابق، ج٨، ص ١١٥.

(٢٦٢) من فقهاء سبتة المشهورين بالعلم بها. قال: وهو صاحب مسألة الشفعة في الصدقة، انظر عياض: ترتيب المدارك، ج٢، ص ٢٣٣.

(٢٦٣) اللونكة: كلمة عجمية معناها طويل. وعائلة اللونكة عائلة سبتية معروفة ومشهورة، ومن أعلمها الفقيه محمد بن مسعود العكّي المعروف بابن اللونكة، انظر المصدر السابق، ج٢، ص ١٧٢.

(٢٦٤) المالكي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد، ت ١٠٧٢هـ): شرح ميَّارة الفاسي على تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام، ت: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، ج٢، ص ٨٩.

(٢٦٥) هو سليمان بن عمر القباعي من الجزيرة الخضراء،استقضاه الحكم المستنصر بالله على سبته، ثم ابنه المؤيد هشام، وكان له خصوصية بالمنصور بن أبي عامر، ابن عبد

الملك المراكشي (ت ٧٠٣هـ): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، مج٢، ت: د. إحسان عباس وآخرون، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠١٢م، ص ٧٥.

(٢٦٦) هو أبو عمر أحمد بن عبدالملك بن هاشم الإشبيلي، تفقَّه على إسحاق بن إبراهيم الفقيه، انتهت إليه معرفة المذهب المالكي وغوامضه مع صلابة في الدين، والبعد عن الهوى، والإنصاف في النظر. صنَّف هو وأبو بكر المعيطي معا كتاب "الاستيعاب" في المذهب لصاحب الأندلس المستنصر فسُرَّ بذلك، ووصلهما بمبلغ، وقدمهما للشورى. توفي فجأة سنة (٤٠١هـ/١٠١٠م)، انظر الذهبي (٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء، ت: شعيب الأرناؤوط وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج١٧، ص ٢٠٦-٢٠٧.

(٢٦٧) القزويني الشافعي (أبو حاتم محمد بن الحسن، ت٤٤٠هـ): الحيل في الفقه، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص ١٠٣-١٠٤؛ عياض وولده: مذاهب الأحكام، ص ٦٩-٧٠؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج٨، ص١١٥.

(٢٦٨) الونشريسي: مصدر سابق، ج٨، ص ١١٥.

(٢٦٩) يحيى بن عمر: أحكام السوق، ص٦٧.

(٢٧٠) المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص ٤٣٦.

(٢٧١) البرزلي: جامع الأحكام، ج٤، ص ٢٩٥.

(٢٧٢) المراكشي: مصدر سابق، ص ٤٣٦-٤٣٧.

(٢٧٣) المصدر السابق، ص ٤٣٧، ٢٣٩.

(٢٧٤) المصدر السابق، ص ٤٣٧.

(٢٧٥) ابن الزيات: التشوف إلى رجال التشوف، ص ١٩٦-١٩٧.

(٢٧٦) البرزلي: مصدر سابق، ج١، ص ٢٠١.

(٢٧٧) انظر -مثلًا- ابن رحّال: كشف القناع عن تضمين الصنّاع، ص ٤٣-٤٧.

(٢٧٨) المصدر السابق، ص ٩٦، ١٢١.

(٢٧٩) ترتيب المدارك، ج٢، ص ٦٠.

(٢٨٠) ابن رحال: مصدر سابق، ص ٩٩. وهذا يشبه ما هو موجود الآن في معظم المؤسسات من وجود حارس يأخذ متعلقات الداخلين إلى المؤسسة ثمَّ يسلمها لهم عند الخروج.

(٢٨١) ابن الأثير (ت٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٨، ص ٣٣، حوادث سنة (٣٩٥هـ)؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٢٥٧.

(٢٨٢) الأنيس المطرب، ص ٢٧٧. وتجدر الإشارة إلى أنَّ باب السلسلة كان اسمه عند

صنع الإمام إدريس الثاني له باب الفرج، انظر ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٣٣.
(٢٨٣) الدباغ: معالم الإيمان، ج٣، ص ١١٨.
(٢٨٤) المالكي: رياض النفوس، ج٢، ص ١٤٧؛ الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ١٨٩.
(٢٨٥) عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ٣٦٩.
(٢٨٦) ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج١، ٢٤٩.
(٢٨٧) رياض النفوس، ج٢، ص ١٤٧؛ وانظر الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ١٨٩.
(٢٨٨) الدباغ: مصدر سابق، ج٣، ص ١١٧؛ مارمول كربخال: إفريقْيَا، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي، ومحمد زنيب، دار المعرفة، المغرب، ١٩٨٨م، ج٢، ص ٥٧؛ إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع- الذهنيات- الأولياء)، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٨٦.
(٢٨٩) الدباغ: مصدر سابق، ج٣، ص ١١٧.
(٢٩٠) ترتيب المدارك، ج٢، ص ٧١.
(٢٩١) المصدر السابق، ج١، ص ٣٦٩؛ ابن الزيات: التشوف، ص ٢٠٣.
(٢٩٢) البرزلي: جامع الأحكام، ج٤، ص ١٧٥.
(٢٩٣) يحيى بن عمر: أحكام السوق، ص ٦٧؛ البرزلي: مصدر سابق، ج٤، ص ٤٣٤.
(٢٩٤) يحيى بن عمر: مصدر سابق، ص ٨٥.
(٢٩٥) البرزلي: مصدر سابق، ج٦، ص ١٦١.
(٢٩٦) نفسه
(٢٩٧) البرزلي: مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٠.
(٢٩٨) المصدر السابق، ج٣، ص ٦٦٢.
(٢٩٩) المالقي (القاضي أبو المطرف عبدالرحمن بن قاسم الشعبي، ت ٤٧٩هـ): كتاب الأحكام، ت: د. الصادق الحلوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٤٢٥؛ ابن بشتغير: نوازله، ص ٣٨٨.
(٣٠٠) البرزلي: مصدر سابق، ج١، ص ٢٠١.
(٣٠١) نفسه
(٣٠٢) نفسه.
(٣٠٣) ابن القطان: إحكام النظر في أحكام النظر بحاسة البصر، ت: إدريس الصَّمَدي، دار القلم، دمشق، ٢٠١٢م، ص ١١٧؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج٢، ص ٥٠٥.
(٣٠٤) البرزلي: مصدر سابق، ج١، ص ٢٠١.
(٣٠٥) المراكشي: وثائق امرابطين والموحدين، ص ٤٣٨.

(٣٠٦) المراكشي: وثائق امرابطين والموحدين، ص ٤٣٨؛ وانظر الدباغ: معالم الإيمان، ج٢، ص ١٩.
(٣٠٧) الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ١٩.
(٣٠٨) المالكي: رياض النفوس، ج١، ص ٢٧٤؛ الدباغ: مصدر سابق، ج٢. ص ١٩.
(٣٠٩) البرزلي: جامع الأحكام، ج٤، ص ٨.
(٣١٠) ابن القطان الفاسي: إحكام النظر في أحكام النظر بحاسة البصر، ص ١١٧.
(٣١١) يحيى بن عمر: أحكام السوق، ص ٦٧.
(٣١٢) هو الفقيه أبو أحمد معتِّب بن رَبَاح، كان رجلا صالحا ورعا، لم تذكر المصادر التي ترجمت له تاريخ وفاته، ومع هذا نستطيع أنْ نستشف أنه كان يعيش في مدينة القيروان خلال القرن (الثاني الهجري/ الثامن الميلادي)؛ لأنَّ المصادر التي ترجمت له ذكرت أنَّه كان صاحبًا للبُهلول بن راشد المتوفى سنة (١٨٣هـ/٧٩٩م)، انظر المالكي: مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٨؛ الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ١٠٢.
(٣١٣) ابن تميم: طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د. ت)، ص ١٢٢.
(٣١٤) الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ١٠٢.
(٣١٥) هو أبو جعفر موسى بن معاوية الصُّمَادِحي، من ولد جعفر بن أبي طالب ذي الجناحين، كان ثقة مأمونًا صالحًا عالما بالحديث والفقه. قيل لسحنون :"إنَّ موسى جلس في الجامع يفتي الناس"، فقال :"ما جلس في الجامع منذ ثلاثين سنة أحق من موسى بالفتوى"، ابن حجر العسقلاني : تبصرة المنتبه بتحرير المشتبه، المؤسسة العربية العامة للتأليف، ١٩٦٧م، القاهرة، ج٣، ص ٨٤٣.
(٣١٦) المالكي: مصدر سابق، ج١، ص ٣٨٠.
(٣١٧) المراكشي: وثائق امرابطين والموحدين، ص ٤٣٨.
(٣١٨) يحيى بن عمر: مصدر سابق، ص ٦٧.
(٣١٩) البرزلي: مصدر سابق، ج٤، ص ٤٣٤.
(٣٢٠) يحيى بن عمر: مصدر سابق، ص ٦٧.
(٣٢١) من فقهاء إفريقية ممن كانوا يميلون إلى الحجة، توفي سنة (٣٠٧هـ/٩١٩م)، انظر ابن فرحون المالكي: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ت: د. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، (د.ت)، ص ٣٣٦-٣٣٧.
(٣٢٢) عياض وولده: مذاهب الحكام، ص ٤٥.
(٣٢٣) المالكي: مصدر سابق، ج٢، ص ١٤٧؛ الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ١٨٩.

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر:

- ابن الأبَّار (محمد بن عبد الله القُضَاعي البَلَنْسِي، ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م):

١- الحلة السِّيَرَاء، دار المعارف، القاهرة، ت: حسين مؤمن، ط٢، ١٩٨٥م.

٢- المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

- ابن الأثير (أبو الحسن بن أبي الكرم الشيباني، ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م):

٣- الكامل في التاريخ (ج٨)، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل بن يوسف، ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م):

٤- بيوتات فاس الكبرا، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م.

- الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله، ت٥٦٠هـ):

٥- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

- الإصْطَخري (إبراهيم بن محمد الفارسي، ت حوالي سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م):

٦- المسالك والممالك، الهيئة المصرية لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر (١١٩)، ٢٠٠٤م.

- ابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم بن خليفة، ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م):

٧- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).

- البرزلي (أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي، ت ٨٤١هـ/١٤٣٨م):

٨- جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتِين والحكام المعروف بفتاوى البرزلي، ت: د. محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م.

- ابن بشتغير (أحمد بن سعيد بن بشتغير، ت٥١٦هـ):

٩- نوازله، ت: د. قطب الريسوني، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٨م.

- البَكْرِي (أبو عبيد الله بن عبد العزيز، ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م):

١٠-المسالك والممالك (ج٢)، ت: د. جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

- التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني):

١١- رحلة التجاني، قدّم لها: أ.حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، ١٩٨١م.

- التميمي (أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي، ت٦٠٣هـ/أو ٦٠٤هـ):

١٢- المستفاد في مناقب العبَّاد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، دراسة وتحقيق: د. محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، ٢٠٠٢م.

- التنبكتي (أحمد بابا، ت١٠٣٦هـ):

١٣- نَيْل الابتهاج بتطريز الدِّيباج، ت: د. علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٤م.

- ابن الجزار القيرواني (ت٣٦٩هـ/٩٧٩م):

١٤- طب الفقراء والمساكين، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، ٢٠٠٥م.

- الجزنائي (أبو الحسن علي، كان حيًّا سنة ٧٦٦هـ):

١٥- زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ت: مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠١م.

- ابن جلجل (أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي، ألفه سنة ٣٧٧هـ):

١٦- تاريخ الأطباء والفلاسفة، ت: فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- ابن حجر(أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م):

١٧- تبصرة المنتبه بتحرير المشتبه، ج٣، المؤسسة العربية العامة للتأليف،

١٩٦٧م، القاهرة.

- ابن حزم الأندلسي:

١٨- جمهرة أنساب العرب، ت: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٨م.

- الحكيم (أبو الحسن علي بن يوسف، ت بعد سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م):

١٩- الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٦م.

- ابن حمَّاد الصنهاجي (ت٦٢٦هـ/١٢٣٠م):

٢٠- ملوك بني عبيد وسيرتهم، ت: جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤م.

- الحِمْيَرِي (محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، ت في القرن ٩هـ/١٥م):

٢١- الروض المعطار في خبر الأقطار، ت: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤م.

- ابن حَوقل (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م):

٢٢- صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت).

- ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون، ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م):

٢٣- العبر وديوان المبتدأ والخبر (ج٦)، طبعة سلسلة الذخائر ١٥٨، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٢٤- مقدمة ابن خلدون، ت: د. علي عبد الواحد وافي، مكتبة الأسرة، ط ٢، ٢٠٠٦م.

- الدبّاغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، ت٦٩٦هـ):

٢٥- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلّق عليه: أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي المتوفى سنة٨٣٩هـ، ت: د. عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

- ابن أبي دينار (ت١٠٩٢هـ/١٦٨١م):

٢٦- المؤنس في أخبار إفريقية تونس، دار المسيرة، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.

- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عُثمان الذهبي، ت٧٤٨هـ):

٢٧- سير أعلام النبلاء (ج١٧)، ت: شعيب الأرناؤوط وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

- ابن رحّال (أبو الحسن بن رحال المَعْداني، ت ١١٤٠هـ/١٧٢٨م):

٢٨- كشف القناع عن تضمين الصنّاع، ت: محمد أبو الأجفان، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٦م.

- ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م):

٢٩- أنموذج الزمان في شعراء القيروان، الدار التونسية للنشر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- ابن أبي زرع (أبو الحسن بن عبد الله الفاسي، ت ٧٢٠هـ):

٣٠- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م.

- الزُهْري (ت في أواسط ق ٦هـ/١٢م):

٣١- كتاب الجغرافية، ت: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت).

- ابن الزيات (أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، ت ٦١٧هـ/١٢٢٠م):

٣٢- التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السَّبْتِي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط ٢، ١٩٩٧م.

- ابن زيدان (عبد الرحمن بن محمد السجلماسي، ت١٣٦٥هـ):

٣٣- إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٨م.

- ابن أبي زيد القيرواني:

٣٤- كتاب الجامع من السنن والآداب والمغازي والتاريخ، ت: محمد أبو

الأجفان وعثمان بطيخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

- السقطي (محمد بن أبي عبد الله القطي المالقي الأندلسي):

٣٥- في آداب الحسبة، تحقيق ومراجعة: د. حسين الزَيْن، مؤسسة دار الفكر، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- ابن الصغير المالكي (عاش في القرن ٣هـ/٩م):

٣٦- أخبار الأئمة الرستميين، ت: محمد ناصرو، وإبراهيم بحاز، بيروت، ١٩٨٦م.

- ابن عبد الحكم (ت٢٥٧هـ/٨٧١م):

٣٧- فتوح مصر والمغرب، ت: عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر (٤٩).

- ابن عبد الملك المراكشي (ت ٧٠٣هـ):

٣٨- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، (المجلد الثاني)، ت: د. إحسان عباس وآخرون، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠١٢م.

- ابن عبدون (ت في النصف الأول من القرن ٦هـ/١٢م):

٣٩- رسالة في القضاء والحسبة، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، نشر: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٥٥م.

- ابن عذارِي (أبو العباس أحمد بن محمد، ت بعد سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م):

٤٠- البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس (الجزء الأول)، ت: ج.س. كولان وإ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.

٤١- البيان المغرب، قسم الموحدين، ت: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٥م.

- أبو العرب (محمد بن أحمد بن تميم التميمي، ت ٣٣٣هـ/٩٤٤م):

٤٢- طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د. ت).

- العمري (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى، ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م):

٤٣- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الجزء الرابع (الممالك الإسلامية في اليمن والمغرب والأندلس)، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠١م.

- عِياض (عياض بن موسى بن عِياض السَّبْتِي، ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م):

٤٤- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبطه وصححه: محمد سالم هاشم، تحقيق: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

- عياض وولده:

٤٥- مذاهب الحكَّام في نوازل الأحكام، تقديم وتحقيق وتعليق: د. محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٧م.

- ابن غازي (أبو عبد الله بن أحمد بن غازي، ت٩١٩هـ/١٥١٣م):

٤٦- الرَّوض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٧م.

- ابن فرحون المالكي (برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد، ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م):

٤٧- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ت: د. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، (د.ت).

- ابن القاضي المكْنَاسي (ت١٠٢٥هـ):

٤٨- جِذْوَة الاقتباس في ذكر من حَلَّ من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣م.

- القاضي النعمان (ت ٣٦٣هـ/٩٧٣م):

٤٩- المجالس والمسايرات، دار المنتظر، لبنان، ١٩٩٦م.

- القزويني الشافعي (أبو حاتم محمد بن الحسن، ت٤٤٠هـ):

٥٠- الحيل في الفقه، ت: عمر حسن محمد محيى الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

- ابن القَطان (أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتَامي، ت ٦٢٨هـ/١٢٣١م):

٥١- إحكام النظر في أحكام النظر بحاسة البصر، ت: إدريس الصَّمَدي، دار القلم، دمشق، ٢٠١٢م.

- ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ):

٥٢- زاد المعاد في هدي خير العباد، الجزء الرابع، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٨م.

- مارمول كَرْبَخَال (ألَّف كتابه في النصف الثاني من القرن ١٠هـ/١٦م):

٥٣- إفريقْيَا، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي، ومحمد زنيب، دار المعرفة، المغرب، ١٩٨٨م.

- المازري (أبو عبد الله محمد بن علي، ت٥٣٠هـ/١١٣٦م):

٥٤- فتاوى المازري، تقديم وجمع وتحقيق: د. الطاهر المعموري، الدار التونسية للنشر، ١٩٩٤م.

- المالقي (القاضي أبو المطرف عبدالرحمن بن قاسم الشعبي، ت ٤٧٩هـ):

٥٥- كتاب الأحكام، ت: د. الصادق الحلوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢م.

- المالكي (أبو بكر عبد الله بن محمد ت ٤٩٤هـ):

٥٦- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ت: بشير البَكُوش، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- المالكي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد، ت ١٠٧٢هـ):

٥٧- شرح ميَّارة الفاسي على تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام، ت: عبد

اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

- مجهول (مؤلف مغربي مجهول):

٥٨- الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: د. سعد زغلول عبدالحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د. م).

- ابن مخلوف (ت١٣٦٠هـ):

٥٩- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.

- المَرَّاكُشِي (عبد الواحد بن علي التميمي، ت ٦٤٧هـ/٢٤٩م):

٦٠- وثائق المرابطين والموحدين، ت: د. حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط٢، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

- مسلم (مسلم بن الحجاج، ت ٢٦١هـ/٨٧٥م):

٦١- صحيح مسلم، ت: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، لبنان، ط٣، ٢٠١٠م.

- المقدسي (شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر، ت ٣٩٠هـ/٩٩٩م):

٦٢- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، لَيْدن، ط٢، ١٩٠٩م.

- مَقْدِيش (محمود بن سعيد السفاقسي ت ١٢٢٨هـ/١٨١٣م):

٦٣- نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، ت: علي الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م، ج١.

- مؤلف أندلسي (من أهل القرن الثامن الهجري):

٦٤- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ت: د. سهيل زكار وأ. عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٩م.

- مؤلف مجهول:

٦٥- مفاخر البربر، ت: عبدالقادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ٢٠٠٥.

- ابن الوزان الزياتي:

٦٦- وصف إفريقيا، ترجمة: د. عبد الرحمن حميدة، طبعة مكتبة الأسرة، ٢٠٠٥م.

- الوَنْشَرِيسي (أحمد بن يحيى، ت ٩١٤هـ):

٦٧- المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، خرّجه: مجموعة من العلماء بإشراف د/ محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م):

٦٨- معجم البلدان، ت: فريد عبد العزيز الجندي، بيروت، ١٩٩٠م.

- يحيى بن عمر الأندلسي (ت٢٨٩هـ/٩٠١م):

٦٩- أحكام السوق، قدَّم له وحققه: د. محمود علي مكي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م):

٧٠- كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

ثانيًا: المراجـع:

- إبراهيم القادري بوتشيش:

٧١- المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع- الذهنيات- الأولياء)، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٣م.

- أحمد بلحاج آية وارهَام:

٧٢- جماليات الحمَّامات في الحضارة الإسلامية الفضاء والمتخيَّل (بحث في الفضاءات: التاريخية والمعمارية والفنية والجمالية والثقافية للحمامات، وفي متخيلاتها الشعرية والأسطورية والإيروتيكية والهُوامية)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٧م.

- أوليفيا ريمي كونستابل:

٧٣- إسكان الغريب في العالم المتوسطي، تعريب وتقديم: محمد الطاهري المنصوري، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠١٣م.

- بهلول سليمان:

٧٤- الدولة السليمانية والإمارات العلوية في المغرب الأوسط، طبعة وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ٢٠١١م.

- جورج مارسيه:

٧٥- الفن الإسلامي، ترجمة: عبلة عبد الرازق، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٦م.

- الحبيب الجنحاني:

٧٦- المغرب الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية (٣-٤هـ/٩-١٠م)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٨م.

- حسن حسني عبد الوهاب:

٧٧- الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٨٠م.

٧٨- ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، مكتبة المنار، تونس، ط٢، ١٩٧٢م.

- حسين مؤنس:

٧٩- معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة بالقاهرة، ط٢، ٢٠٠٤م.

- حميد الحداد:

٨٠- السلطة والعنف في الغرب الإسلامي، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١١م.

- رشيد بورويبة:

٨١- الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٧٧م.

- رينهارت دوزي:

٨٢- تكملة المعاجم العربية (ج٨)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٧م.

- زكي محمد حسن:

٨٣- فنون الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨م.

- شاكر مصطفى:

٨٤- المدن في الإسلام حتة العصر العثماني، الكويت، ١٩٨٨م.

- الصديق بن العربي:

٨٥- كتاب المغرب، دار الثقافة، المغرب، ط٣، ١٩٨٤م.

- عمر رضا كحالة:

٨٦- معجم المؤلفين، مؤسسة، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

- قبيلة فارس المالكي:

٨٧- تاريخ العمارة عبر العصور، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١١م.

- كارل بروكلمان:

٨٨- تاريخ الأدب العربي، تعريب: د. عبد الحليم النجار، ط: دار المعارف، القاهرة، ط٥، (د.ت).

- مانويل جوميث مورينو:

٨٩- الفن الإسلامي في إسبانيا من الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر المرابطين، ترجمة: د. السيد عبد العزيز سالم ود. لطفي عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د.ت).

- مجمع اللغة العربية:

٩٠- المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٤م.

- محمود إسماعيل:

٩١- الخوارج ببلاد المغرب حتى القرن الرابع الهجري، مكتبة الحرية الحديثة،

جامعة عين شمس، ط٢، ١٩٨٩م.

ثالثًا: الرسائل العلميَّة:

- بصديق عبد الكريم:

٩٢- البيوع والمعاملات النجارية في المغرب الأوسط وأثرها على المجتمع ما بين القرنين (٦-٩هـ/١٢-١٥م)، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلاميَّة، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠١٨م.

- موساوي عربية:

٩٣- الحمَّامات الجزائرية من العصر الإسلامي إلى نهاية العهد العثماني، دراسة أثرية معمارية، رسالة ماجستير غير منشورة بمعهد الآثار، جامعة الجزائر، ١٩٩١م.

رابعًا: الدوريات العلميَّة:

- أحمد الطوخي:

٩٤- القيساريات الإسلاميَّة في مصر والمغرب والأندلس، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ع٢٨، ١٩٨١م.

- خليل خلف الجبوري:

٩٥- معالم من الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس: الحمامات أنموذجًا، دورية كان التاريخية، ع٣٢، يونيو ٢٠١٦م،

- خوسى اليماني:

٩٦- الكتائب المسيحية في خدمة الملوك المغاربة، مجلة دعوة الحق، ع٥، المغرب، ١٩٧٨م.

- رولى رفعت أبو خاطر:

٩٧- الحمَّامات التقليدية ضمن النسيج العمراني للمدينة الإسلامية، دراسة مقارنة في عدة مدن متوسطية، مجلة إنسانيات الصادرة عن مركز أبحاث الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية في الجزائر، مج١٨، ع٦٣-٦٤، ٣٠ يونيو/ خيزران ٢٠١٤م.

- سليم زاوية:

٩٨- أرباض المدن العربية الإسلامية القديمة: دلالات عمرانية وسوسيو ثقافية؛ بعض مدن المغرب الأوسط أنموذجًا، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، الجزائر، مج ٣٠، ع٤، ديسمبر ٢٠١٩م.

- الصديق بن عربي:

٩٩- طوائف وشخصيات مسيحية بالمغرب، مجلة تطوان، المغرب، ع١، ١٩٥٦م.

- عبد السلام بنسودة:

١٠٠- حول أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، مجلة دعوة الحق، العدد (١، ٢)، يناير ١٩٧١م.

- كروم عيسى:

١٠١- إمارات بني سليمان في المغرب الأوسط بين الوجود والنسيان (١٧٢-٣٤٢هـ/٧٨٨-٩٥٣م)، دورية كان التاريخية، ع ٣٤، ديسمبر ٢٠١٦م.

- محمد بركات البيلي:

١٠٢- مدينة سجلماسة ودورها في تجارة الذهب مع السودان في العصر الإسلامي، مجلة المؤرخ المصري، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ع٣، يناير ١٩٨٩م.

- محمد البعلاوي:

١٠٣- شعراء إفريقيون معاصرون للدولة الفاطمية، مجلة حوليات الجامعة التونسية، ع١٠، سنة ١٩٧٣م.

- محمد حسن:

١٠٤- التهيئة المائية بإفريقية في العصر الوسيط، فصل من الندوة الدولية الثالثة المنعقدة بالمكتبة الوطنية بتونس بعنوان "الماء والتعمير ببلاد المغرب في العهدين القديم والوسيط"، نوفمبر٢٠٠٧م، أعدها للنشر أ. محمد حسن، تونس، ٢٠٠٩م.

- محمد علي دبور:

١٠٥- مدينة البصرة بالمغرب الأقصى منذ إنشائها حتى هدمها سنة

(٣٦٨هـ/٩٧٨م)، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ع ٩١، ٢٠١٦م.

- نعيمة الحضري:

١٠٦- الحمَّام المغربي تاريخ وتخطيط، مجلة بصمات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني المحمدية، ع٦، ٢٠١٥م.

- نعيمة عبد المولد العيساوي:

١٠٧- المؤسسات المدنية والحربية في إفريقية في عهد الأغالبة، مجلة القلعة، كلية الآداب والعلوم بمسلاتة، جامعة المرقب، ع٨، ديسمبر ٢٠١٧م.

خامسًا: المراجع الأجنبية:

- De Beylié (G):

108- La Kalaa des Beni-Hammad, une capitale berbère de l'Afrique du Nord au XIe siècle, Paris, 1909.

- Golvin(L):

109- Recherches archéologiques à la Qalà des Banû Hammâd, Paris : G.P.Maisonneuve et Larose, 1965.

- Robert Etienne:

110- Le quartier Nord-Est de Volubilis, E. de Boccard, Paris, 1960

- Lévi provençal:

111- Documents inédits d'histoire Almohade, librairie oriental, Paris, 1928, pp.56-57.